



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي  
جامعة عمارة ثليجي الأغواط



كلية الآداب واللغات  
قسم اللغة والأدب العربي

## مذكرة ماستر

تقديم الطالب: بلقاسم بدوي  
ميدان: لغة وأدب عربي  
شعبة: دراسات لغوية  
تخصص: لسانيات عربية

الممارسة النصية في البلاغة العربية قراءة في كتاب

(البيان والتبين) للجاحظ

### أعضاء لجنة المناقشة


الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الصفة
معمر عبد القادر	أستاذ محاضر (ب)	رئيسا
جخدم فاطمة	أستاذ التعليم العالي	مشرفة ومقررة
عبد العالي بوفاتح	أستاذ التعليم العالي	مناقشا

السنة الجامعية: 2022-2023

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الشكر والعرفان


الحمد لله الذي وفقنا لإتمام هذ العمل وجعله الله لنا صدقة موسوما بالعلم النافع، ولا يسعني في هذا المقام سوى أن أشكر أستاذتي المشرفة الأستاذة جخدم فاطمة التي كانت خير مرشد وخير عون، ولتحليها بسعة ورحابة صدر كبيرة أثناء إنجاز هذا العمل، ومع العلم أنها لم تبخل عليّ بأي معلومة، بل شجعتني كثيرا في إنجازه وكذا أشكرها لتواجدها دوما في خدمة هذا البحث، جزاها الله خيرا.



## الإهداء

أهدي ثمرة هذا العمل إلى والدي التي لازالت تمطرنني في ظهر الغيب بزحام من الدعوات الخالصة وإلى والدي الذي حببني في العلم، إلى كل إخوتي وأخواتي، إلى كل فرد من عائلتي وإلى كل من ساهم ولو بالقليل في إتمام هذا العمل المتواضع، وإلى كل من وجهني وعلمني وزودني بالقليل من العلم أو الكثير، إلى كل ناطق بالحرف العربي والغيور عليه، إليكم جميعا أهدي هذا العمل المتواضع، سائلا المولى أن يجعله علما ينتفع به لمن هم بعدي.

بدوي بلقاسم



# مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا وحبينا محمد صلى الله عليه وسلم  
واله وصحبه أجمعين أما بعد:

تعد لسانيات النص فرعاً من فروع اللسانيات وتعنى بمعرفة ودراسة مميزات ومكونات النص من حيث السبك والحبك (الاتساق والانسجام) وكذا المحتوى الإبلأغي التواصلي دون اغفال الجانب السياقي فدراسة النص تختلف عن دراسة الجملة من حيث التحليل، بحيث كانت الدراسات اللسانية قديماً لا تتجاوز حدود الجملة بل كانت تقف عندها، ثم تحولت بعد تملل وضجر الباحثين لتدرس مستوى يتجاوز ذلك هو النص.

وقد اجمع الباحثون في هذا الحقل المعرفي بالجديد أن هناك معايير وسمات تميز النص عن اللانص تسمى "المعايير النصية"، وقد تتبع الدارسون القضايا النصية في التراث العربي فوجدوها قد وردت عند النقاد والبلاغيين وعلماء الأصول وعلماء التفسير وعلماء القرآن أي أنه من الممكن إثبات أن كثيراً من المبادئ النصية كانت حاضرة لدى العرب القدماء في مواضع كثيرة بمسميات أخرى أو كمفاهيم تتوافق والمصطلحات الحديثة، ومن بين هؤلاء نذكر الجاحظ.

وقد اخترنا موضوعنا المرسوم بالممارسة النصية في البلاغة العربية قراءة كتاب (البيان والتبين للجاحظ) رغبت منا في معرفة مدى مساهمة العلماء العرب في هذا العلم الجديد ومدى تقاطع المعرفي بين التراث والمفاهيم اللسانية الحديثة

وعليه نطرح الاشكال الآتي: أين تتجلى ملامح النظرية النصية في كتاب الجاحظ البيان والتبين؟ وماهي المفاهيم النظرية التي ذكرها المحدثون وكان لها ذكر وحضور في كتابه

ويعود بحثنا الى رصد أهم القضايا النصية في كتاب (البيان والتبين) ومعرفة اهم المفاهيم اللسانية النصية التي تناولها الجاحظ في كتابه.

وللاجابة عن هذه الاشكالية انتهجنا الخطة الاتية بعد هذه المقدمة مدخل وفصلين وخاتمة. وجاء المدخل معنونا ب اللسانيات النصية وتطورها وتطرت فيه الى نشأة مفهوم اللسانيات النص وموضوعها واهدافها بالإضافة الى معايير النصية.

يلي ذلك الفصل الاول وعنوانه الممارسات النصية في البلاغة العربية حاولنا فيه تتبع جهود بعض البلاغيين امثال الجرجاني والسكاكي والقرطاجني.

أما الفصل الثاني وجاء عنوانه الممارسات النصية في كتاب البيان والتبين للجاحظ قسمناه إلى مبحثين المبحث الأول جاء ترجمة مختصرة عن المؤلف والمؤلف والمبحث الثاني تحليات ملامح النصية في كتاب البيان والتبين وقد كان فصلا تطبيقيا تتبعنا فيه جهود الجاحظ في البحث اللساني

وأخيرا خاتمة جمعت فيها أهم النتائج التي توصلت اليها

من أهم الدراسات السابقة التي إطلعنا عليها نذكر من بينهم أطروحتين استفدنا منهما وأتبعناهما أنموذجين للعمل وهما: (الممارسة النصية عند البلاغيين العرب عبد القاهر الجرجاني وحازم القرطاجني أنموذجا) للطالبة بن بريك رفيدة، وأطروحة لنيل درجة الدكتوراه بعنوان (الاسهامات النصية في التراث العربي) لنور الدين بخولة 2016 وقد كان الهدف من الدراسة التعريف بالجهود اللغوية عند العرب والتمكين من ادراك منظومة الفكر اللغوي عند العرب وحاول من خلال هذه الدراسة تقريب بعض المفاهيم والأسس التي قامت عليها النظرية اللغوية عند العرب.

وكذلك الأبعاد التداولية في التراث البلاغي العربي لإبراهيم بشار 2016 وكان الهدف من بحثه هو رصد كل مامن شأنه أن يساعد ويساهم في إنسجام المعطى اللغوي وتحقيق نصيته وتكمن أهمية هذا إلى البحث البلاغي العربي وما يحويه من من غزارة في المصنفات والمصطلحات وقد اعتمدنا في بحثنا هذا إضافة إلى الدراسات السابقة الذكر على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها كتاب البيان والتبين للجاحظ محل دراسة وأيضا علم اللغة لصبحي الفقهي. علم اللغة النصي. بين النظري والتطبيق وعزالدين مهيوبي. المعايير النصية ودورها في الترابط النصي ديوان اللغة والغفران ومجموعة من المقالات نذكر من علم اللغة النصية في التراث العربي عبد القاهر الجرجاني 2020 جامعة باتنة حاول الباحث تناول أهم

قضايا لسانيات النص وذلك في سياق مقارنة تأصيلية لتلك القضايا وبين إمتداداتها المعنوية في التراث اللغوي العربي بعدد من المفاهيم والتصورات التي إبتكرها علم اللغة النص.

وكذلك المعايير النصية في التراث البلاغي العربي عبد القاهر الجرجاني انموذجا (بوشارب ذكرى - روميصة) 2021تهدف هذه الدراسة الى معرفة الإنجازات في التراث العربي القديم (من خلال ماكتبه الجرجاني) وما جاء به - خاصة في نظرية النظم والذي إختصت عنده الدراسة على عدد من قواعد ومقومات أساسية يقوم عليها أي نص من النصوص.

وبطبيعة الحال لا يخلو بحث من الصعوبات فقد واجهتنا بعض الصعوبات حاولنا ان نتجاوزها فقد كانت طبيعة العلم وتشعبه وكثرة قضاياها وتفرعاته سببا في عدم احاطتنا بكل جوانبه.

في ختام لا يسعني سوى شكر أستاذتي المشرفة الأستاذة فاطمة جعدم على سعة صدرها وتحملها فقد كانت خير مرشد وناصح وموجه. والشكر الموصول لأعضاء اللجنة المناقشة بارك الله فيهم ونفع بعلمهم.

## مدخل: اللسانيات النصية وتطورها

- نشأة لسانيات النص
- مفهوم لسانيات النص
- موضوع وأهداف لسانيات النص
- المعايير النصية

## تمهيد:

تعتبر لسانيات النص فرعاً من اللسانيات العامة التي جاء بها دي سوسير والتي تعرف بأنها الدراسة العلمية للغة الإنسانية وقد كانت-اللسانيات العامة- تدرس الجملة ضمن مستوياتها المختلفة وقد وقفت عند حدود الجملة ولم تتجاوزها مما أدى ذلك إلى تضيق مجال الدراسة ثم انتقلت هذه الأخيرة بعد تملل من الباحثين لتتجه نحو بنية أكبر من الجملة في التحليل وهي "النص" حيث لم تعد الجملة كافية لكل مسائل الوصف اللغوي فكان من المفروض أن يتجه الوصف في الحكم على الجملة من وضعها في إطار وحدة أكبر، ويرى محمد الأخضرى أنه: "من الخطأ اعتبار اللسانيات النصية مكتملة للسانيات الجملة أو توسيعاً لمجالها بل يعتبرها بأنها إعادة بناء اللسانيات من منطلق جديد موضوعه الوحدة الطبيعية للتعامل اللغوي بين المتكلمين ألا وهي (النص)"<sup>1</sup> والمقصود بها بحسب تعبيره "كل فعل تواصلية لغوية كتابية كان أم شفوية"<sup>2</sup>

ويقول دوجراند في كتابه النص والخطاب والإجراء: "وأزعم أن الكيان اللغوي المتعدد المستويات لا بد أن يكون هو النص المشتمل على أجزاء fragment يمكن لها أو لا يمكن أن تتركب في صورة جمل"<sup>3</sup>، ويضع في كتابه مجموعة من العناصر الجوهرية التي يفرق من خلالها بين النص والجملة ارتأينا نحن وضع بعض منها في شكل جدول هو كالاتي:

الجملة	النص
-الجملة عنصر من نظام افتراضي VIRTUAL SYSTEM	-النص نظام فعال ACTUAL SYSTEM
-الجملة كيان قواعدي Grammatical	-النص يعرف تبعاً للمعايير الكاملة للنصية

<sup>1</sup> محمد الأخضرى، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، دار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ص 59، بتصرف

<sup>2</sup> نفس المرجع

<sup>3</sup> دوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 89

<p>-التمييز بين ما يطابق القواعد وبين ما لا يطابقها تمييز تقابلي ثنائي عندما يكون ثمة قواعد دقيقة وكاملة لضبط الجمل</p> <p>-التركيب الداخلي للنص هو سياق البنية co-text</p> <p>-الجملة ذات اثر محدود في المواقف الإنسانية، وتستعمل لتعريف الناس كيفية بناء العلاقات النحوية فحسب.</p> <p>-الجملة عناصر من نظام ثابت متزامن.</p> <p>-يتم تعيين حدود الجملة بعد انتاج النص</p>	<p>-التمييز بين ما يعد نصا texte وبين ما لا يعد نصا non texte يتم بحسب درجة معقدة لا بحسب تقابل ثنائي</p> <p>-ينبغي للنص الاتصال بموقف يكون فيه، تتفاعل فيه مجموعة من المرتكزات والمعارف</p> <p>-النص توال من الحالات، وهو تجل لعمل انساني ينوي به شخص أن ينتج نصا ويوجه به السامعين لينبوا عليه علاقات من أنواع مختلفة</p> <p>-الأعراف الاجتماعية تنطبق على النصوص</p> <p>-العوامل النفسية أوثق صلة بالنصوص</p>
--	--

وأدت تلك الملاحظات حول العناية بدراسة الجملة وتضييق مجال الدراسة وكذا تحديد الفروق المهمة بين النص والجملة إلى ظهور علم جديد يسمى بلسانيات النص وعليه فيما يلي عرض موجز لنشأة علم النص وعوامل تأسيسه وكذا التطرق الى مفهوم لسانيات النص.

### (1) نشأة لسانيات النص:

تنويعها إلى ما ذكر سابقا في التمهيد باعتبارها أولى الحجج التي يقدمها البعض لعوامل تأسيس علم النص، صحيح أن اللسانيات التي جاء بها دي سوسير عكفت على دراسة الجملة ولكنه قد أشار إلى العناية بالبعد النصي في كلام له عن الخطاب إذ يقول: "أن الإنسان لا يعبر بكلمات منفصلة، وأنه لا يمكن أن يكون لهذه الكلمات معنى ودلالة على أفكار معينة ما لم توضح في علاقات مع بعضها"<sup>1</sup>،

<sup>1</sup> دوسوسير فرديناند، محاضرات في الألسنية العامة، يوسف غازي مجيد النصر، المؤسسة الجزائرية العامة، السداسي 1986/02، ص186-187

إن العناية بالبعد النصي ليست وليدة الأمس وليس سوسير وحده من أدرك أهمية المظهر النصي بل هناك الكثير ممن اعتنوا به ففي نهاية الستينات من القرن العشرين ظهر منهج لساني يصطلح عليه باللسانيات النصية "La Linguistique Textuelle" وهناك من يطلق عليه بمصطلح نحو النص، وبخلاف هذين الترجمتين فقد ترجم هذا المصطلح بحسب ما صادفناه الى: (علم النص، وعلم اللغة النصي، وتداولية النص، ونظرية النص، والتحليل اللساني النصي..). وهذا الأمر يعود الى عدم استقرار التسمية عند الغرب، وهي مشكلة من بين مشكلات المصطلح اللساني التي نواجهها نحن العرب، فيكون هناك ربكة وعدم اتفاق في المصطلح وسط بيئته ثم تأتي الترجمات باللغة العربية فنأخذ المصطلح مع مشكلاته، وهذا الأمر مازال يعيق الباحثين العرب والذين يسعون إلى إيجاد حلول له، ولكن ما يجمع تلك الترجمات السابقة في بوتقة واحدة هو أن موضوعها واحد وهو اللغة.

تعود المحاولة الأولى للسانيات النص عند صدور كتاب فلاديمير بروب (V.Proop) بعنوان (الحكايات الروسية العجيبة) سنة 1928، حيث: "قدم فيه أول دراسة لسانية تحليلية لمقاطع الحكاية بغية تحديد الوظائف السردية وتبيان عواملها وشخصها النحوية بمعنى أنه اهتم بالتنظيم المقطعي، فالجديد الذي جاء به في كتابه أنه استعمل تقنية التقطيع النصي إلى وحدات وفقرات ومقاطع وظيفية"<sup>1</sup>، وأما جان ميشال ادم (J.M.Adaam) فقد حدد المقاطع والمتواليات النصية التي توجد في خطاب معين الى خمسة أنواع هي: "(المتوالية السردية، المتوالية الوصفية، المتوالية الحجاجية، المتوالية التفسيرية، المتوالية الحوارية) بحيث أن كل مقطع يتكون من ملفوظات تركيبية متسقة ومنسجمة ومتتابعة لها وظيفة دلالية ضمن التنظيم النصي"<sup>2</sup>

إن أهم ما تسعى الى معالجته لسانيات النص من قضايا هي أثر السياق في الملفوظات والظواهر اللغوية التي تكفل للنص ترابطه وانسجامه ويقصد بذلك أدوات الاتساق والانسجام، أي أنها تدرس العلاقات بين الجمل وتنظر في انتظامها في النصوص، ومن بين اللغويين الذين عنوا بالبعد النصي " وقد

<sup>1</sup> جميل حمدوي، محاضرات في لسانيات النص، ط1، 2015، ص21، بتصرف.

<sup>2</sup> نفس المرجع، ص21 بتصرف

ذكرهم فانديك لدينا: لويس هلمسليف Louis Hjelmslev الدانيماركي و ميخائيل باختين Mikhail Bakhtine حيث يلتقيان في طرحهما لقضايا لسانية فأقر هلمسليف أن تحليل النص يجب أن يمثل أحد الالتزامات التي لا مناص منها بالنسبة للساني، وأما باختين فقد صرح بأن اللسانيات لم تحاول أبدا سبر أغوار المجموعات اللغوية الكبرى كالملفوظات الطويلة التي نستعملها في حياتنا العادية مثل الحوارات والخطابات وغيرها<sup>1</sup>، بالإضافة الى جاكسون الذي "صرح في ملتقى له سنة 1960 عن سبب محاولته إبعاد الانشائية عن اللسانيات وهو اقتصار الدراسة اللسانية بشكل ليس مبرر على الجملة بالإبعاد من بعض اللغويين الذين يريدون أن تبقى الجملة أعلى بنية يمكن تحليلها"<sup>2</sup>

وكل تلکم الدعوات السابق ذكرها لم تجد طريقها الى التطبيق إلا مع هاريس Haris وكان ذلك عند نشره لدراستين هامتين في بداية النصف الثاني من القرن العشرين قام فيهما بتحليل منهجي لبعض النصوص تحت عنوان (تحليل الخطاب Analyse de discours) وأدت به هاته الدراسة الى "التشكيك في صواب استغناء اللسانيات عن المظهر الكتابي واقتصارها على اللغة المنطوقة في دراستها للنظام اللغوي، وهو ما اعتقده بأنه السبب في إغفال وجود جمل طويلة ولا متناهية يعجز النحو عن الامام بقواعدها ما لم يعتمد الكتابة التي تسلمنا حتما إلى دراسة النص"<sup>3</sup>

وفي فترة السبعينات عرفت الدراسة النصية مزيدا من التطور والضبط المنهجي خصوصا على يد فانديك Van Dijk مما أدى بالبعض إلى اعتباره المؤسس الحقيقي لعلم النص بحيث قد ضمن مجموعة من أفكاره وتصوراته لأسس ومبادئ هذا العلم في كتاب بعنوان (بعض مظاهر نحو النص) "ولم يشر في هذا الكتاب الى الفرق بين النص والسياق، وله كتاب آخر هام بعنوان (علم الن مدخل متداخل الاختصاصات 1980) والذي جسده فيه اقتراحه بتأسيس نحو عام للنص يأخذ بعين الاعتبار كل الأبعاد التي لها صلة بالخطاب"<sup>4</sup>، أما روبرت دوجراندي Robert De Beaugrande فقد ألف

<sup>1</sup> محمد الأخصري، مدخل الى علم النص ص 61

<sup>2</sup> محمد الأخصري، مدخل الى علم نص ومجالات تطبيقه، ص 61

<sup>3</sup> نفس المرجع، ص 62

<sup>4</sup> نفس المرجع ص 62

في هذا المجال في الثمانينات في القرن العشرين كتابه "مدخل الى لسانيات النص 1981" وجاءت فيه إشارة الى جهود فان ديك ف هذا الميدان الذي كان له كتاب بالغ الأهمية بعنوان (النص والخطاب والإجراء)

ونلخص كل ما سلف في المخطط الآتي:

المرحلة الأولى: انتهت بحلول الستينات ولم تكن ذات أثر يذكر على تيار ألسنية الجملة  
الغالب من رواده (انجاردن-بوهلر-هلمسليف)

المرحلة الثانية: بدأت نهاية الستينات 1968 مع مجموعة من اللغويين الذين بدؤوا في العمل بشكل منفرد في مجال الدراسات التي تتجاوز مستوى الجملة إلا أن اتجاه هؤلاء لم يحرز أثرا حاسما لكونه نظر الى النصوص على أنها تتابعات لمجموعات من الجمل أي انه لم يخرج من إطار الجملة ومن أبرز رواده (رقية حسن-ايزنبرج)

المرحلة الثالثة: بدأت سنة 1972 من روادها (فان ديك-دي بوجراند-دريسلر) وقد حاولوا إيجاد نظرية بديلة تحل محل النظريات الألسنية السائدة والتي ثبت عدم قدرتها على الصمود في وجه التساؤلات الأساسية التي تستجوبها الدراسات اللغوية المتكاملة

## (2) مفهوم لسانيات النص:

تتعدد التعريفات لللسانيات النص بين اللسانيين وكذا يتعدد الاصطلاح عليها فتارة تراه يعرفها تحت اسم علم النص وتارة تحت مصطلح لسانيات النص وهذا ما أشرنا اليه آنفا في قضية اختلاف الترجمات، ومن بين التعريفات نذكر ما يلي:

➤ **لسانيات النص:** "فرع من فروع علم اللسانيات يتعامل مع النص باعتباره نظاما للتواصل والابلاغ السياقي"<sup>1</sup>

- "تدرس ما يجعل النص متسقا ومنسجما ومترابطا بالتركيز على الروابط التركيبية، والدلالية،

<sup>1</sup> جميل حمداوي، محاضرات في لسانيات النص، ص 17

والسياقية، سواء أكانت صريحة أم ضمنية، ولا تكتفي بما هو مكتوب فقط بل تدرس حتى النصوص الشفوية والملفوظات النصية القولية أي أنها تبحث في آليات بناء النص ومختلف الوظائف التي يؤدي بها ضمن سياق تداولي معين"<sup>1</sup>

- "علم النص يتعلق -من جهة- بكل أشكال النص الممكنة وبالسياقات المختلفة المرتبطة بها ويعنى -من جهة أخرى- بمناهج نظرية ووصفية وتطبيقية"<sup>2</sup>

- " ذلك الفرع من فروع علم اللغة الذي يهتم بدراسة النص باعتباره الوحدة اللغوية الكبرى وذلك بدراسة جوانب عديدة أهمها الترابط أو التماسك ووسائله وأنواعه والإحالة المرجعية والسياق النصي ودور المشاركين في النص (المرسل والمستقبل) وهذه الدراسة تتضمن النص المنطوق والمكتوب على حد سواء"<sup>3</sup>

من خلال تعريف صبحي إبراهيم الفقهى نستشف أنه قد وسم النص بكونه أكبر وحدة لسانية قابلة للدراسة والتحليل وأشار الى قضية التماسك وأن النص المنطوق أو المكتوب على حد سواء فهو مجال للدراسة كما أشار إليها جميل حمداوي في تعريفه بذكره لعبارة (دراسة ما يجعل النص متسقا منسجما ومترابطا) فقولته مترابطا هو نفسه التماسك وكذا قوله (لا تكتفي بما هو مكتوب فقط بل تدرس حتى النصوص الشفوية والملفوظات النصية القولية) فنرى تقاطعا كبيرا بين هذين التعريفين. وعليه نستنتج أن لسانيات النص هي اتجاه لغوي يهتم بدراسة النص من حيث كيفية تركيبه وبنائه وطرق وأدوات تماسكه وانتظامه دون إغفال السياق الذي نتج فيه النص ودور المشاركين.

<sup>1</sup> نفس المرجع ص18

<sup>2</sup> فان ديك، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تر حسن البحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، مصر، ط2001، ص14

<sup>3</sup> صبحي إبراهيم الفقهى، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ج1، ط1، 2000، ص36

## (3) أهداف لسانيات النص:

إن لسانيات النص مجموعة من الأهداف فهي تسعف الباحث في معرفة آليات تماسك النص موضوعيا وعضويا ويذكر جميل حمداوي في كتابه بعض الأهداف الأساسية التي تضطلع بها لسانيات النص وهي: "معرفة كيفية بناء النص وإنتاجه مهما كانت طبيعته الخطائية أو تجنيسه ثم استجلاء مختلف الأدوات والآليات والمفاهيم اللسانية التي تساعدنا على فهم النص ووصفه وتأويله باستكشاف مبادئ الاتساق اللغوية الظاهرة والتعرف إلى مختلف العمليات التي يستعين بها مفهوم الانسجام والتثبيت مما يجعل النص نصا أو خطابا"<sup>1</sup> ولا يكتفي بهذا فقط بل يضيف إلى ذلك " ثم التمكن من مختلف الآليات اللسانية في عملية تصنيف النصوص وتجنيسها وتنميطها وتنويعها وتبيان مكوناتها الثابتة وتحديد سماتها المتغيرة"<sup>2</sup> وتذكر فاطمة زياد أن: " هدف لسانيات النص هو وصف العلاقات الداخلية والخارجية للأبنية النصية في مختلف مستوياتها مع شرح أشكال التواصل ومظاهر استخدام اللغة والوقوف عند مظاهر الاتساق والانسجام من أجل الوصول إلى القوانين والمعايير التي تحكم النصوص ولا تستقيم إلا بها"<sup>3</sup> وكل تلك الأهداف قد جمعتها التعريفات المختلفة للسانيات النص وقد هذه الأخيرة أيضا بما هو ديداكتيكي وبيداغوجي لذا فهي تؤدي وظائف تربوية بامتياز فقد استعملت في مجال التعليم.

وقد حدد لانغ E. Lang المميزات التي تدفع إلى الاهتمام بلسانيات النص وتحديد مفهوم النص وحصرتها فيما يلي: "

- رفع الغموض عن الجمل وتبسيطها
- إبراز الاقتضات والعلاقات المضمرة زيادة على ما يبرزه ظاهر الجمل المكونة للنص
- تفسير النص بواسطة الجمل والمقاطع والمتواليات اللسانية

<sup>1</sup> جميل حمداوي، محاضرات في لسانيات النص، ص 57

<sup>2</sup> نفس المرجع، ص 57

<sup>3</sup> فطيمة زياد، مطبوعة لسانيات النص، ص 15

- تحقيق شروط الاتساق والانسجام بين الجمل المضمره والبارزة للنص المتناسك وبين الجمل المعزولة عنه
  - ادراج تأويلات دلالية لبعض الجمل الخاصة ضمن دلالات كبرى
  - تحقيق علاقات التعادل بين عدة مقاطع لغوية ذات طول متغير حتى ترقى لفهم التماسك النصي برمته ضمن إطار شامل وعام<sup>1</sup>
- وخلصه كل ما سبق في هذا العنصر أن وظائف لسانيات النص متعددة ومتنوعة فهي من جهة لها وظائف تربوية وتعليمية ومن جهة أخرى لها وظائف نقدية أدبية وكذا وظائف تحليلية نصية بالإضافة الى وظائف أخرى إبداعية وتواصلية وتداولية.

#### (4) المعايير النصية:

لا يكون الحديث عن لسانيات النص دون التطرق الى المعايير النصية وهي سبعة كما حددها دوجراندي في كتابه 'النص والخطاب والاجراء' وقد قدم دي بوجراندي نظرية متكاملة في لسانيات النص فاقترح سبعة معايير تجعل من النص نصا، أو تفقده نصيته إذا ما غاب عنصر منها

إن مبدأ النصية عنده يتحقق من الخاصية الاتصالية بين أطراف العملية التواصلية، وقد وضع مجموعة من الإجراءات المنهجية التي تتحقق بها النصية حيث ربطها بالمفهوم فيقول: " وأنا أقترح المعايير التالية لجعل النصية أساسا مشروعا لإيجاد النصوص واستعمالها<sup>2</sup>

وهي:

-الاتساق (السبك) Cohesion

-الانسجام (الحبك-الالتحام) Coherence

<sup>1</sup> نقلا عن جميل حمداوي، محاضرات في لسانيات النص، ص 58

<sup>2</sup> دي بوجراندي، النص والخطاب والاجراء، ص 103

-المقصدية (القصد) Intentionality

-المقبولية (القبول- الاستحسان) Acceptability

-السياق (رعاية الموقف) Contexte-Situationality

-التنصص Intertextuality

-الإخبار (الإعلامية) Information

وبهذا نراه قد ربط بين مفهوم النص وبين بالأسس التي يعتمد عليها، ومن بين التعريفات كذلك التي تربط مفهوم النص بالمعايير تعريف سعد مصلوح فيقول في هذا الصدد: " النص حدث تواصلية يلزم لكونه نصا أن تتوافر له سبعة معايير للنصية مجتمعة ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف واحد من هذه المعايير وهي 'السبك والحبك والقصد والقبول والاعلام والتنصص'<sup>1</sup>

وأما سعد مصلوح فيصنف هذه المعايير الى:

"- ما يتصل بالنص في حد ذاته وهما معيارا السبك والحبك

- ما يتصل بمستعملي النص سواء أكان المستعمل منتجا أم متلقيا وذلك معيار القصد والقبول

- ما يتصل بالسياق المادي والثقافي المحيط بالنص وذلك معيار الأعلام والمقامية والتنصص"<sup>2</sup>

ومن التعريفات كذلك تعريف هبيرة عز الدين حي يقول: "يصبح التعبير نصا متى توافر فيه شيء

من هذه المعايير بغض النظر عن طوله أو قصره ولو كان جملة واحدة"<sup>3</sup>.

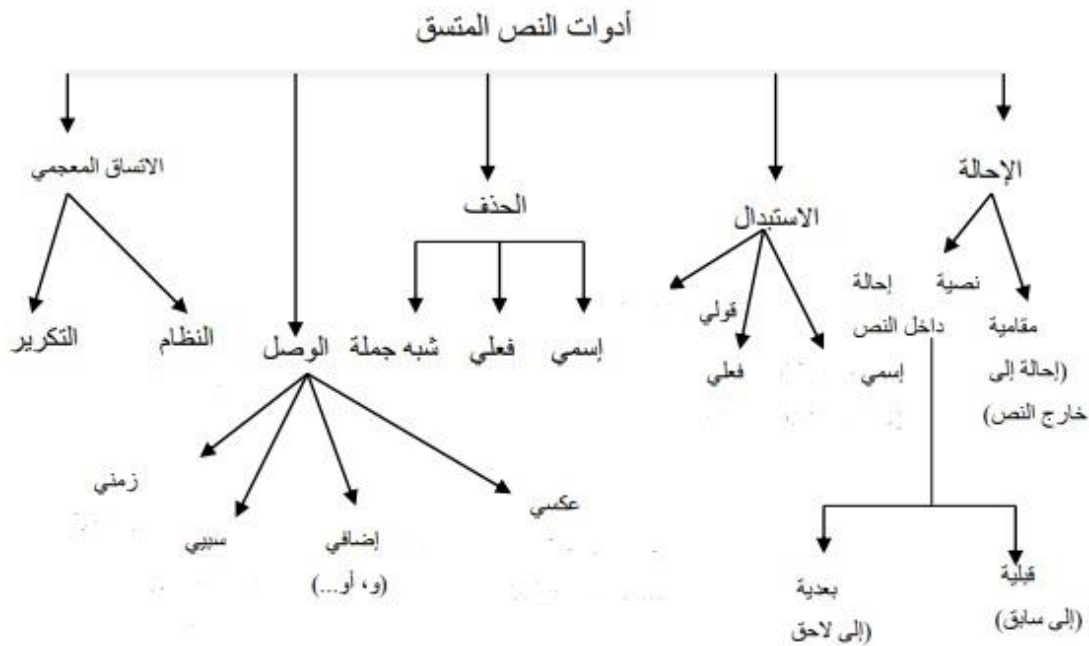
<sup>1</sup> سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، ص 225

<sup>2</sup> نفس المرجع، ص 226

<sup>3</sup> هبيرة عز الدين، المعايير النصية لروبيرت دي بوجراند: قراءة نظرية في ضوء اللسانيات النصية العربية الحديثة، ص 249

## 1.4 السبك (الاتساق/COHESION):

يرى سعد مصلوح أن "السبك يختص بالوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرارية في ظاهر النص"<sup>1</sup>، كما ترى فطيمة زياد أن السبك "يضم الإجراءات المستعملة في توفير الترابط بين العناصر في ظاهر النص، وغالبا ما يكون التركيز على أوجه التبعية النحوية، وهو معيار يتصل بالنص"<sup>2</sup>، أما دي بوجراند فيقول السبك "يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق منها الى اللاحق بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي وبحيث يمكن استعادة هذا الترابط ووسائل التضام تشتمل على هيئة نحوية للمركبات والتراكيب والجمل وعلى أمور مثل التكرار والألفاظ الكنائية والأدوات والاحالة المشتركة والحذف والروابط"<sup>3</sup> يوضحها المخطط التالي:



<sup>1</sup> سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، ص 227

<sup>2</sup> فطيمة زياد، لسانيات النص، ص 37

<sup>3</sup> دي بوجراند، النص والخطاب والاجراء، ص 103

أسماء الإشارة			المقارنة		الضمائر		
بحسب البعدها	بحسب الانتقاء	بحسب الحياد	ظرفية (زمان/مكان)	خاصة تتفرع الى كمية وكيفية	عامة يتفرع منها التطابق والتشابه والاختلاف	ضمائر المتكلم والمخاطب تشير الى إحالة خارجية أما ضمائر الغيبية فتشير الى إحالة داخلية	- وجودية (أنا، أنت، نحن، هو، هن) - ملكية (كتابي - كتابك - كتابهم)

الإحالة (REFERENCE): "العلاقات بين العبارات من جهة وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي الذي تشير اليه"<sup>1</sup>، وهي "الإحالة علاقة معنوية تقع في المستوى الدلالي"<sup>2</sup> وتنقسم الى نوعين: إحالة مقامية خارج النص وإحالة نصية داخل النص وتنقسم هذه الأخيرة بدورها إلى: إحالة قبلية وإحالة بعدية

- وسائل الاتساق الإحالية: الضمائر وأسماء الإشارة وأدوات المقارنة

الاستبدال: "عملية نصية داخلية تعتمد على تعويض عنصر بآخر فإذا كانت الإحالة علاقة معنوية تقع في المستوى الدلالي فإن الاستبدال عملية معجمية نحوية تقوم بين كلمات أو عبارات"<sup>3</sup>

<sup>1</sup> نفس المرجع، ص 172

<sup>2</sup> جميل حمداوي، محاضرات في لسانيات النص، ص 73

<sup>3</sup> جميل حمداوي، محاضرات في اللسانيات ص 73

وهو تعويض عنصر بعنصر آخر في النص وهو ثلاثة أنواع:

- استبدال اسمي

- استبدال فعلي

- استبدال قولي

- الحذف (ELLIPSES): يعد الحذف ظاهرة نصية لها دور كبير في انسجام النص والتحام عناصره ن وشرطه في اللغة: "ألا يتم إلا إذا كان الباقي في بناء الجملة بعد الحذف مغنيا في الدلالة، كافيا في أداء المعنى، وقد يحذف أحد العناصر لأن هناك قرائن معنوية أو مقالية تومئ إليه وتدل ويكون في حذفه معنى لا يوجد ذكره"<sup>1</sup> ونستشف من هذا القول إن المحذوف من الكلام لو بقي فإنه سيشكل خلافا على مستوى النص ويعتبر كحشو وزيادات لا طائل منها، والحذف "شبيه بالاستبدال من حيث أنه علاقة قبلية إلا أنه (استبدال بالصفير)"<sup>2</sup>

وقد سبق الى هذا عبد القاهر الجرجاني في كتابه (دلائل الاعجاز) في باب (القول في الحذف) حيث يقول: "هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبين"<sup>3</sup>

وينقسم الحذف ثلاثة أقسام: "حذف اسمي، وحذف فعلي، والحذف داخل شبه جملة"<sup>4</sup>، وأما فطيمة زياد فتقسمه الى أربعة أقسام: "حذف اسمي، حذف فعلي، حذف حرفي، حذف تركيب"<sup>5</sup>

<sup>1</sup> نقلا عن محمد الأخضرى، مدخل الى علم النص، ص88

<sup>2</sup> نفس المرجع، ص88

<sup>3</sup> عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص112

<sup>4</sup> محمد الأخضرى، مدخل الى علم النص، ص93، ينظر أيضا جميل حمداوي، محاضرات في لسانيات النص، ص73

<sup>5</sup> فطيمة زياد، لسانيات النص، ص45

الوصل (CONJUNCTION): هو مظهر اتساقى ويختلف عن بقية وسائل التماسك النصي التي سبق الكلام عنها من حيث أنه يصل وصلا مباشرا بين جملتين أو مقطعين في النص و"تكمّن أهميته من كون النص عبارة عن مجموعة من الجمل أو المتواليات المتعاقبة وأنه لا بد لكي تدرك كبنية متماسكة من توفر أدوات رابطة تفرض كل منها طبيعة العلاقة بين الجمل"<sup>1</sup>

يحدد الوصل على أنه " الطريقة التي يتراط بها اللاحق مع السابق بشكل منتظم ومتسق ويكون على مستوى المتواليات والجمل حيث تتماسك وتترابط عضويا ومنطقيا ولغويا وتركيبيا والوصل قد يكون إضافيا وسببيا وعكسيا وزمنيا"<sup>2</sup>

-الوصل الإضافي: سماه براون ويول بالعطف ووسائله (الواو، الفاء، ذلك، كذلك، أي، أعني، أيضا...)

-الوصل العكسي: "يسمى الربط الاستدراكي يربط على سبيل السلب بين صورتين من صور لمعلومات بينها علاقة تعارض وسماه براون ويول بالمقابلة"<sup>3</sup>

-الوصل السببي: "ربط يعتمد نوع العلاقة في الجمع بين عنصرين متتابعين وهذه العلاقة أساسها السببية كعلاقة الشرط وجوابه أو القسم وجوابه أو السبب والنتيجة"<sup>4</sup>

-الوصل الزمني: وسائله (ثم، قبل، بعد، بعد ذلك، بينما، أخيرا...)

أما محمد الأخضرى "فيضع تصنيفا أكثر تفصيلا لأدوات الربط بالاعتماد على أبعادها الدلالية"<sup>5</sup>:

- صنف يفيد الإضافة: الواو- أيضا- بالإضافة.

- صنف يفيد التعداد: أولا- ثانيا- أخيرا- في النهاية- بعد ذلك.

<sup>1</sup> محمد الأخضرى، مدخل الى علم النص، ص94

<sup>2</sup> جميل حمداوي، محاضرات في لسانيات النص، ص73

<sup>3</sup> فطيمة زياد، لسانيات النص، ص48

<sup>4</sup> نفس المرجع

<sup>5</sup> محمد الأخضرى، مدخل الى علم النص، ص95

- صنف يفيد الشرح: لأن- بمعنى- بعبارة أخرى.
- صنف يفيد التوضيح: مثلا- خاصة.
- صنف يفيد التمثيل: على غرار- نحو- مثلا.
- صنف يفيد الربط العكسي: لكن- غير أن- عكس ذلك.
- صنف يفيد السبب: إذا- وعليه- وفعلا- نتيجة ذلك- بناء على ذلك.
- صنف يفيد الاختصار: بإيجاز- باختصار- وعلى العموم- أخيرا.
- صنف يفيد التعاقب الزمني: قبل ذلك- قبل ذلك- ثم- إثر ذلك.

-الاتساق المعجمي: يعتبر آخر مظهر اتساق لتحقيق تلاحم النص، ويعد من بين وسائل الربط النحو ي المهمة ويتحقق من خلال "اختيار المفردات عن طريق إحالة عنصر الى عنصر آخر فيحدث الربط بواسطة استمرارية المعنى بما يعطي النص صفة النصية"<sup>1</sup>

والاتساق نوعان: التكرار- التضام

-التكرار:

"-التكرار: يتطلب إعادة عنصر معجمي أو وجود مرادف له أو شبه مرادف أو عنصرا مطلقا أو اسما عاما

-التضام: توارد زوج من الكلمات بالفعل أو القوة نظرا لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو ذلك"<sup>2</sup>

ويميز دي بوجراند ودريسليز بين نوعين من التكرار:

-تكرار مباشر: تكرار العناصر اللغوية بألفاظها

-تكرار غير مباشر: تكرار بالمعنى أو تكرار جزئي أي دون إعادة العنصر نفسه ويسمى الترادف.

وهناك من يقسمه الى " تكرار محض أو تام (تكرار اللفظ والمعنى لمرجع واحد)، تكرار جزئي

(باستخدام الجذر اللغوي الصرفي باستخدامات مختلفة أي المشتقات)، تكرار المعنى (ويكون

<sup>1</sup> فطيمة زياد، لسانيات النص، ص49

<sup>2</sup> جميل حمداوي، محاضرات في لسانيات النص، ص74

بلفظ مختلف ويشمل الترادف وشبهه)، التوازي (يقصد به تكرار البنية النحوية مع ملئها بعناصر جديدة)<sup>1</sup>

-المصاحبة: "وتسمى التلاؤم الذكري ويقصد بها توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرا لارتباطهما بحكم هذه العلاقة"<sup>2</sup>  
وتصنف الى:

-علاقة تباين وفق درجات (متضادين - متناقضين - متعاكسين)

-علاقة الدخول في سلسلة مرتبة (الأحد الاثنين الثلاثة...) (علاقة الكل بالجزء - علاقة الجزء بالجزء - علاقة الإندراج في الصنف العام كإندراج الكرسي في كلمة الأثاث)

**2.4 الحيك (الاتحام/الانسجام COHERENCE):** «يستند الانسجام الى مجموعة من العمليات الضمنية الخفية التي تسعف المتلقي في قراءة النص وبناء انسجامه»<sup>3</sup>

"يتطلب من الإجراءات ما تنشط به عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهومي واسترجاعه وتشتمل وسائل الالتحام على العناصر المنطقية كالسببية والعموم والخصوص ومعلومات عن تنظيم الاحداث والاعمال والموضوعات والمواقف والسعي الى التماسك فيما يتصل بالتجربة الإنسانية ويتدعم الالتحام بتفاعل المعلومات التي يعرضها النص مع المعرفة السابقة بالعالم"<sup>4</sup>

"الانسجام أعم من الاتساق كما أنه يغدو أعمق منه بحيث يتطلب بناء الانسجام من المتلقي، صرف الاهتمام جهة العلاقات الخفية التي تنظم النص وتولده بمعنى تجاوز رصد المتحقق فعلا (أو غير المتحقق) أي الاتساق، الى الكامن (الانسجام)<sup>5</sup> ويمكن التمييز بين الاتساق والانسجام في كون الأول

<sup>1</sup> خليل بن ياسر، الترابط النصي ص 66

<sup>2</sup> محمد خطابي، لسانيات النص، ص 25

<sup>3</sup> جميل حمداوي، محاضرات في لسانيات النص، ص 76

<sup>4</sup> دي بوجراند، النص والخطاب والاجراء، ص 103

<sup>5</sup> جميل حمداوي محاضرات في لسانيات النص ص 76

يرتبط بالروابط اللغوية التركيبية الظاهرة (ضمائر، أسماء إشارة، حروف العطف، التكرار..)، أما الانسجام فيستند إلى مجموعة العمليات الضمنية الخفية التي تسعف المتلقي في قراءة النص وبناء انسجامه، "يمكن أن نحكم على نص بالانسجام انطلاقاً من معيار القراءة وتفكيك العلاقات الداخلية للنص من أجل تركيب بناء متسق ومنسجم"<sup>1</sup>

من أجل البحث عن الانسجام وتحديد مظاهره هناك مجموعة من الآليات لفهم أي خطاب كيفما كانت هويته وأهم آليات هذه النظرية والمنهجية ما يلي<sup>2</sup>:

- التساؤل عن فعل؟ وماذا فعل؟ وأين؟ ومتى؟ وكيف؟ ولماذا؟
- الارتباط المعجمي بنوعيه الكبيرين: التراكمي والتقابل
- الارتباط التركيبي الحاصل بالضمائر، وأداة التعريف، واسم العلم، وأسماء الإشارة، وبعض أدوات العطف، والتوازي...
- نظرية الإطار والحوار والمدونات

وإذا لم تساعد هذه الآليات في خلق انسجام النص والتحامه فلا بد أن يلتجئ إلى استنباط والتأويل والقراءة الذكية.

إذن فالانسجام هو مجموع العمليات الظاهرة والخفية التي تجعل قارئ خطاب ما قادراً على فهمه وتأويله، كما يعالج العلاقة بين عالم النص وعالم الواقع، ويتحقق هذا الانسجام بوجود عدد من المبادئ:

- مبدأ السياق: يتشكل من علاقة النص بالقارئ مما يمكنه من تحديد ظروف لقضية وزمانها ومكانها، ويتجلى دوره في تسهيل عمليتي الفهم والتأويل حيث أن الظروف التي يظهر فيها النص/الخطاب تجمع بين المرسل والمتلقي بالإضافة إلى عنصرَي الزمان والمكان اللذان يحيطان بإنتاجه (النص)،

<sup>1</sup> نفس المرجع ص 80

<sup>2</sup> نفس المرجع ص 81-82

ويضم السياق (المرسل / المتلقي / الحضور / الموضوع / المقام / القناة / النظام / شكل الرسالة / مفتاح تقويم الرسالة / الغرض).

➤ مبدأ التأويل المحلي: وهو مبدأ "مرتبط بقرائن النص التي يؤول بعضها بعضا فنعرف موضوع النص والعلاقات والقرائن التي تربط بين عناصره"<sup>1</sup>، وشرطه أن "لا يحمل المتلقي - عند قيامه بعملية الفهم والتأويل - النص / الخطاب أكثر مما يتحمل وهذا يعني أن ارادته مقيدة بما يخدم النص من جهة ومن جهة أخرى فإن تجاربه الخاصة تعد مصدرا خصباً يقيس عليها ويحدد ما هو مشترك ثم ينسج ويبني التوقعات"<sup>2</sup>

➤ مبدأ التشابه: ويتم ذلك "عبر تشابه نص مع نصوص أخرى في القضية التي يقارنها"<sup>3</sup>، فالتجارب السابقة للمتلقي تزوده بالقدرة على التوقع وتساعد في التأويل والفهم وذلك عن طريق التخمين فيما يمكن أن يحدث، أي "النظر الى الخطاب الحالي في علاقاته مع خطابات سابقة تشببه"<sup>4</sup>

➤ مبدأ التعريض: ويقصد به الموضوع الرئيس الذي يتمحور حوله الخطاب، وهو "ما يستعمله المرسل كنقطة بداية إذ لكل نص / خطاب بؤرة أو نواة تدور في فلكها بقية أجزاء النص، إذا التعريض قد يبدأ من العنوان، كما يمكن الوصول إليه من زوايا مختلفة كأن يكون اسم مثلاً"<sup>5</sup>

➤ ترتيب الخطاب: "وعده فان ديك مظهرا من أهم مظاهر الانسجام وأطلق عليه الترتيب العادي للوقائع أي سرد الأحداث بشكل منتظم، كما أشار الى العلاقات التي تحكم هذا الترتيب"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> محمد عبد الرحمن أحمد محمد، لسانيات النص نشأتها ومفهومها وأسسها، ص 2432

<sup>2</sup> فطيمة زياد، لسانيات النص ص 58

<sup>3</sup> محمد عبد الرحمن، لسانيات النص نشأتها ومفهومها وأسسها، ص 2432

<sup>4</sup> فطيمة زياد، لسانيات النص، ص 58

<sup>5</sup> فطيمة زياد، لسانيات النص، ص 59

<sup>6</sup> عائشة بن عثمان، الممارسة النصية في شروح الشعر العربي (شرح الخطيب التبريزي لديوان أبي تمام وشرح التوحيد لديوان المتنبي

أمودجا)، ص 37

**3.4 القصد (المقصدية، القصدية/ INTENTIONALITY):**

ومعناه أن الكاتب يضع نضه ليحقق مقصدا معينا، "فالنص حدث تواصل يؤولي يؤدي

وظيفة إنجازية يقصدها المتحدث (الكاتب) ويشترط وحدة المقصد في النص وتفهم هذه المقصدية بواسطة اللغة أو الأحداث الكلامية في النص"<sup>1</sup>، والمقصدية قاسم مشترك بين كل من المتكلم والمتلقي، فلا تقتصر على المتكلم فقط ولكنها تشتمل المخاطب أيضا ولهذا فقد تتفق المقصديتان درجات من الاتفاق وقد تختلفان درجات من الاختلاف"<sup>2</sup>، ويراه دي بوجراند بأنها "تتضمن موقف منشئ النص من كون صورة ما من صور اللغة قصد بها أن تكون نصا يتمتع بالسبك والالتحام وأن مثل هذا النص وسيلة من وسائل متابعة خطة معينة للوصول الى غاية بعينها"<sup>3</sup>

**4.4 المقبولية (القبول، الاستحسان/ ACCEPTABILITY):**

وهي تتعلق بموقف المتلقي من قبول النص، فيقول دي بوجراند: "يتضمن موقف مستقبل النص إزاء كون صورة ما من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص ذو سبك والتحام، وللقبول أيضا مدى من التغاضي في حالات تؤدي فيها المواقف الى ارتباك أو حيث لا توجد شركة في الغايات بن المستقبل والمنتج"<sup>4</sup>

**5.4 الإعلامية (الإخبارية-الإبلاغية/ INFORMATIVITY):**

"وهي مدى توقع عناصر النص المقدمة أو عدم توقعها أو معرفتها أو عدم معرفتها (غموضها)"<sup>5</sup>، وهي بحسب دي بوجراند "العامل المؤثر بالنسبة لعدم الجزم في الحكم على الوقائع النصية أو الوقائع في عالم نصي في مقابلة البدائل الممكنة"<sup>6</sup>، إن إعلامية عنصر ما "تكمن في نسبة

<sup>1</sup> محمد عبد الرحمن أحمد محمد، لسانيات النص نشأتها ومفهومها وأسسها، ص 2440

<sup>2</sup> جميل حمداوي، محاضرات في لسانيات النص، ص 106

<sup>3</sup> دي بوجراند، النص والخطاب والاجراء، ص 103

<sup>4</sup> دي بوجراند، النص والخطاب والاجراء، ص 104

<sup>5</sup> محمد عبد الرحمان، لسانيات النص نشأتها ومفهومها وأسسها، ص 2445

<sup>6</sup> دي بوجراند، النص والخطاب والاجراء، ص 105

احتمال وروده في موقع معين بالمقارنة بينه وبين العناصر الأخرى من وجهة النظر الاختيارية<sup>1</sup> وهذا ما يذكره دي بوجراند في قوله: "الإعلامية تكون عالية الدرجة عند كثرة البدائل وعند الاختيار الفعلي لبديل من خارج الاحتمال"<sup>2</sup>

#### 6.4 السياق: (رعاية الموقف-المقامية/SITUATIONALITY):

تتعلق بمناسبة النص للموقف، فالمقام "من الوسائل التي تجعل النص يبدو أكثر تماسكا، والنص ينتج من مقام وله رسالة وهدف يبينهما المقام الذي انتج فيه النص إذ لا بد من رعاية الموقف الذي أنشأ فيه النص من أجل فهمه وتفسيره تفسيراً بداعياً مما قصده منتج النص"<sup>3</sup>، ويتعلق هذا العنصر بالسياق الثقافي والاجتماعي للنص ويعني أن "يكون النص موجهاً للتلاؤم مع حالة أو مقام معين، بغرض كشفه أو تغييره وقد يكون الموقف الذي يحمله النص مباشراً أو غير مباشر ويفترض هذا العنصر وجود مرسل ومرسل إليه"<sup>4</sup> ويقول دي بوجراند أن رعاية الموقف: "تتضمن العوامل التي تجعل النص مرتبطاً بموقف سائد يمكن استرجاعه ويأتي النص في صورة عمل يمكن له أن يراقب الموقف وأن يغيره وقد لا يوجد إلا القليل من الوساطة في عناصر الموقف كما في حالة الاتصال بالمواجهة في شأن مور تخضع للإدراك المباشر"<sup>5</sup> إن "مدى رعاية الموقف يشير دائماً إلى دور طرفي الاتصال على الأقل وقد لا يدخل هذان الطرفان إلى بؤرة الانتباه بوصفهما شخصيين"<sup>6</sup>.

#### 7.4 التناص (INTERTEXTUALITY):

عنصر التناص هو أهم العناصر المحققة للنصانية ويعرف بكونه "مجموعة من طرائق إنتاج الفني التي يثبت من خلالها تفاعله مع نصوص سابقة عليه أو متزامنة معه ... أي هو عبارة عن علاقة

<sup>1</sup> محمد عبد الرحمان، لسانيات النص نشأتها ومفهومها وأسسها، ص 2445

<sup>2</sup> دي بوجراند، النص والخطاب والاجراء، ص 105

<sup>3</sup> عز الدين ميهوبي، المعايير النصية ودورها في الترابط النصي ديوان اللعنة والغفران ص 66

<sup>4</sup> نفس المرجع، ص 66

<sup>5</sup> دي بوجراند، النص والخطاب والاجراء، ص 104

<sup>6</sup> دي بوجراند، النص والخطاب والاجراء، ص 104

تفاعلية بين نص سابق ونص حافل لإنتاج نص لاحق<sup>1</sup>، كما يرى دي بوجراند أنه "يتضمن العلاقات بين ما ونصوص أخرى مرتبطة به وقعت في حدود تجربة سابقة سواء بواسطة أم بغير واسطة"<sup>2</sup>.

وأخيرا ما يمكن استخلاصه بشأن المعايير النصية أن هناك منها ما يتصل بالنص في حد ذاته وهذا يتمثل في المعيارين الاتساق والانسجام ومنها ما يتعلق بمنتج النص ومتلقيه وذلك يتمثل في معياري القصد والقبول ومنها ما يتعلق بظروف إنتاج النص وتلقيه وسياقاته وذلك يتمثل في معياري التناص والسياق، وإن المعايير السالف ذكرها تساهم في جعل بناء النص متماسكا ومتسقا ومنسجما وإذا اختلف أحد من هذه العناصر يؤدي ذلك الى فقدان النص لنصيته.

<sup>1</sup> عز الدين ميهوبي، المعايير النصية ودورها في الترابط النصي ديوان اللعنة والغفران ص 66

<sup>2</sup> دي بوجراند، النص والخطاب والاجراء، ص 104

## الفصل الاول: الممارسة النصية في البلاغة العربية

• المبحث الأول: عبد القاهر الجرجاني

• المبحث الثاني: السكاكي

• المبحث الثالث: حازم القرطاجني

تمهيد:

لقد تجاوز العرب قديما الجملة في التراث العربي وبدأ ذلك في ثانيا دراسة نحو الجملة، ويقول محمد الشاوش في هذا الصدد عن عمل النحاة العرب: " والمرء لا يشعر وهو يطلع على ما وضعوا بأنه تجاه نظرتين بنيت الواحدة منها للجملة والأخرى للنص، بل هي النظرية الواحدة بما فيها من قواعد خاصة بكل مجال وقواعد عامة مشتركة بين المجالين، فلا فرق إلا بحسب ما يقتضيه الفرق بين الوحدات التي تجري فيها تلك القواعد والأحكام، ولك أن تعتبر ذلك بما وضعوا من قواعد العمل والاعراب في الخاص وقواعد العطف والاضمار والحذف في المشترك العام"<sup>1</sup>، فالكثير من مباحث نحو الجملة في النظرية العربية قد تطرقت الى أوضاع تركيبية تتعلق بما فوق الجملة، كالعطف والشرط، والحذف، ومنه يمكننا القول إن للنصية بدورا في تراثنا العربي وأول أساس لها هو انتقال الدراسة من الجملة الى النص، وأبرز من ظهر لديهم الاهتمام بالنص هم علماء الإعجاز، وتكمن محاولتنا في هذا الفصل تسليط الضوء على البعض من أعلام التراث العربي منهم (عبد القاهر الجرجاني، السكاكي، حازم القرطاجني)، ولا تنحصر القضايا النصية عند هؤلاء فقط، فقد تجلت الممارسة النصية عند علماء آخرين أمثال الشافعي والجاحظ (وهو محط دراستنا التطبيقية)، وابن قتيبة، وابن طباطبا، والباقلاني، والامام الغزالي، والزركشي، والسيوطي، وسنشير الى بعضهم باقتضاب ونخص بالبحث في هذا الفصل الجرجاني والسكاكي والقرطاجني، باعتبار أن الملامح النصية متجلية أكثر في دراستهم للنصوص، سواء القرآنية أو الشعرية.

<sup>1</sup> محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية (تأسيس نحو النص)، سلسلة اللسانيات، مج14، ط1، مكتبة النقد الأدبي بالاشتراك مع المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، 2000، ص1267

المبحث الأول: عبد القاهر الجرجاني (471هـ):

(1) تعريفه:

هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد الجرجاني، من أهلي جرجان، وهو من أصل فارسي، وتقع جرجان في شمالي إيران بين طبرستان وخرسان قرب بحر الخرز، "كان على علم كبير بالعربية والفارسية، متكلم أشعري شافعي المذهب، وهو من المؤسسين الأوائل لعلم البلاغة العربية، قد وهب الله له علماً من أعلام النحو وهو أبو الحسن محمد بن الحسن بن محمد عبد الوارث الفارسي النحوي، فدرس عنده كتاب (الايضاح) لأبي علي الفارسي، فاعتنى به وشرحه، كما قرأ الجرجاني كتب سيبويه والجاحظ والمبرد ابن دريد والعسكري، وقرأ للآمدي والقاضي الجرجاني وابن جني والمرزباني، بالإضافة للفارسي، ذاع صيته واشتهر وشدت إليه الرحال، وكان من بين طلابه يحيى بن علي الخطيب التبريزي وعلي بن زيد الفصيحى"<sup>1</sup>، لم يذكر أنه خرج من بلده جرجان، وتوفي سنة 471هـ

(2) آثاره:

-المغني (ثلاثون مجلد خصص لشرح كتاب الايضاح)

-شرح الفاتحة

-المعتضد (تضمن شرح وافي لكتاب أبي عبيدة الواسطي في إعجاز القرآن)

-الرسالة الشافية (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)

-الشرح الصغير (شرح مختصر لكتاب الواسطي)

-الإيجاز (أوجز فيه كتاب المغني)

-العوامل المائة (في العامل والمعمول والاعراب)

<sup>1</sup> أبو بكر بوقرين، محاضرات في مقياس نظرية النظم، سنة الثالثة ليسانس، الدرس الأول، جامعة عمار ثليجي الأغواط 2021

-التكلمة (تكلمة للمقتصد)

-دلائل الإعجاز في علم المعاني

-أسرار البلاغة في علم البيان

(3) الممارسة النصية عند الجرجاني:

كان الجرجاني من أبرز الذين نظروا الى النص القرآني نظرة كلية متماسكة، ولعل أقوى ما غنمته بنية نص الخطاب ما كشف عنه عبد القاهر الجرجاني، وقد تجسدت عنده قضايا اللسانيات في مفهوم النظم وقضية اللفظ والمعنى كما تطرق الى ظاهرة التقديم والتأخير والى الإحالة، ويتميز الجرجاني بأنه قد تجاوز التأليف والترتيب الى إضافات كبرى قدمها للدرس البلاغي والنحوي والنقدي، حيث قدم النحو نظاما لموضوع النظم، واعتمد قواعد النحو كأساس جوهري في ترتيب الكلام.

➤ النظم عند الجرجاني:

فيقول: "واعلم أن ليس (النظم) إلا تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه (علم النحو) وتعمل على قوانين وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها"<sup>1</sup>

و يؤكد الجرجاني على أن الكلام لا يوصف بصحة نظمه أو فساده إلا برجوعه الى معاني النحو وأصوله فهو يربط النظم بالنحو فالنحو يهدف إلى تنظيم الكلام وسلامته من سوء التأليف دون إغفال الجانب الدلالي، فيقول: "وإذا قد عرفت أن مدار أمر (النظم) على معاني النحو"<sup>2</sup> ويقتصر على مراعاة معاني النحو ويقصد بذلك توخي تلك المعاني العقلية التي لا تخالف المنطق العقلي متعلقة بالفكر، لأن المتكلم ينتقي الكلمات والألفاظ التي تناسب لمعاني المترتبة في النفس، ولا تخالف قواعد اللغة المتعارف عليها عند العرب، وكذا القواعد النحوية التي لها دور كبير في تحقيق الانسجام والاتساق للنص،

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 81

<sup>2</sup> نفس المصدر، ص 87

ويتابع قوله: "وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه، فاعلم أن الفروق والوجوه كثيرة ليس لها غاية تقف عندها، ونهاية لا تجد لها ازديادا بعدها، وشم اعلم أن ليست المزية بواجبة لها في نفسها، ومن حيث هي على الاطلاق ولكن تعرض بسبب المعاني، والأغراض التي يوضع لها الكلام/ ثم بحسب موقع بعضها من بعض، واستعمال بعضها مع بعض"<sup>1</sup>، وفي هذا الصدد يقول في موضع آخر: " فلست بواجد شيئا يرجع صوابه إن كان صوابا، أو خطؤه إن كان خطأ الى (النظم)، ويدخل تحت هذا الاسم، إلا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه ووضع في حقه أو عومل بخلاف هذه المعاملة فأزيل عن موضعه، واستعمل في غير ما ينبغي له فلا ترى كلاما قد وصف بصحة نظم أو فساده أو وصفه بمزية وفضل فيه، إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل الى معاني النحو وأحكامه ووجدته يدخل في أصل من أصوله، ويتصل بباب من أبوابه"<sup>2</sup> ويظهر هذا في لسانيات النص المعاصرة في جعل الاتساق هو العنصر الأهم في الفصل بين النص واللانص.

وفي صفة النظم يقول: "واعلم أن من الكلام ما أنت ترى المزية في نظمه والحسن كالأجزاء من الصيغ، تتلاحق وينضم بعضها الى بعض حتى تكثر في العين، فأنت لذلك لا تكبر شأن صاحبه، ولا تقضى له بالحذق والأستاذية وسعة المنة، حتى تستوفي القطعة وتأتي على عدة أبيات"<sup>3</sup>، فأجزاء الكلام لا تنتظم إلا باتساق فيما بينها، وفي أوضاع معينة وبوسائل وأدوات خاصة.

وبحسب نظره فإن الغرض بنظم الكلام ليس فقط توالي الألفاظ في النطق بل تناسق دلالاتها وتلاقي معانيها على الوجه الذي يقتضيه العقل، والانطلاق من الجملة البسيطة للوصول الى نظم البنى في تراكيبه الصوتية والدلالية والنحوية والبلاغية والاسلوبية يكون بترتيب ألفاظها وتراكيبها وفق ترتيب معانيها المعنوية التي تصاغ في نسيج لغوي محكم الصياغة والتأليف.

<sup>1</sup> نفس المصدر

<sup>2</sup> عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص83

<sup>3</sup> نفس المصدر، ص88

إذا فالنظم يكشف عن العلاقات النحوية بين أجزاء الكلام، وإن تحقيق اتساق الكلام وحسن نظمه يكون في اتساق جزئياته وانسجامها، وشرح الجرجاني معنى الاتساق في هذا النص يقترب كل الاقتراب مما ورد عند المحدثين في لسانيات النص. في قوله: " إن مما هو أصل أن يدق النظر، ويغمض المسلك في توخي المعاني التي عرفت أن تتحدد أجزاء الكلام، ويدخل بعضها في بعض ويشتد ارتباط ثانٍ منها بأول، وأن تحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعا واحدا وأن يكون حالك فيها حال الباني يضع يمينه هاهنا، في حال ما يضع بيساره هناك، وفي حال ما يبصر مكان ثالث ورابع يضعها بعد الأولين"<sup>1</sup>، للنص أدوات شكلية أم دلالية إذا خلا منها تخلخل بناؤه إذ يصبح جملا مترابطة لا رابط يجمعها فالنظم ووسائله عند عبد القاهر الجرجاني والاتساق ووسائله عند علماء لسانيات النص يعني خروج النص عن نصيته عند المحدثين.

### ➤ الإحالة عند الجرجاني:

رغم الدور الكبير الذي تلعبه في ربط الجمل والتراكيب إلا أن الجرجاني لم يفرد لها بابا كما أورده للفصل والوصل، وما ميز مفهوم الإحالة عنده أنه قد تجاوز كونه أداة ربط فقط الى أنها تستخدم في تحسين الكلام، وتعطي الكلام قوة وتماسكا وترابطا، كونها تبعده عن التكرار، ويقول الجرجاني في الدلائل: " اعلم ههنا بابا من الاضمار والحذف، يسمى الاضمار على شريطة التفسير وذلك مثل قولهم: (أكرمني وأكرمت عبد الله)، أردت: (أكرمني عبد الله وأكرمت عبد الله) ثم تركت ذكره في الأول استغناءً بذكره في الثاني، فهذا طريق معروف ومذهب ظاهر، وشيء لا يعبا به، ويظن أنه ليس فيه أكثر مما تريك الأمثلة المذكورة منه وفيه إذ أنت طلبت الشيء من معدنه من دقيق الصنعة ومن جليل الفائدة، مالا تجده إلا في كلام الفحول"<sup>2</sup>، ويقول فب موضع آخر: "انتهى الفصل الذي أردت أن أكتبه، فقد بصرك هذا أن لن يكون إيقاع نفى الوجود على صريح لفظ المثل، كإيقاعه على ضميره"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص 93

<sup>2</sup> نفس المصدر، ص 163

<sup>3</sup> نفس المصدر، ص 169

➤ القول في التقديم والتأخير عند الجرجاني:

يعرفه الجرجاني في كتابه بأنه " باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يُفْتَرُّ لك عن بديعه، ويفضي بك الى لطيفه، ولا تزال ترى شعرا يروك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قُدِّم فيه شيء، وحُوِّل اللفظ عن مكان الى مكان"<sup>1</sup>، يسهب الجرجاني في هذا بتصنيفه على وجهين: "تقديم يقال على نية التأخير كخير المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ، والمفعول إذا قدمته على الفعل، كقولك: (منطلق زيد) و (ضرب عمر زيد)، وتقديم لا على نية التأخير، ولكن أن تنقل الشيء عن حكم وتجعل له بابا غير بابيه واعرابا غير اعرابه"<sup>2</sup> ولم يكن وحده من تطرق لذلك فنجد القدماء اهتموا بموضوع تغيير الرتبة في الكلام لجعل الكلام غير محدود، إن التقديم والتأخير يندرجان في ركن واحد تتألف به أنسجة النصوص وتكسب الملاحظة والحسن فنجد أن التقديم والتأخير يؤدي الى ضرورة التماسك النصي.

➤ القول في الفصل والوصل عند الجرجاني:

يعد من المباحث البلاغية المهمة يصفه الجرجاني بالفن فيقول " هذا فن من القول خاص دقيق"<sup>3</sup>، إذ يعد من أسرار البلاغة ذلك لغموضه ودقة مسلكه فيقول الجرجاني: " واعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض، أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة تستأنف واحده منها بعد الأخرى من أسرار البلاغة، ومما لا يتأتى لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخالص، إلا قوم طبعوا على البلاغة"<sup>4</sup>، "وقد بلغ من قوة الأمر ذلك أنهم جعلوا حدا للبلاغة فقد جاء عن بعضهم أنه سئل عنها فقال: معرفة الفصل من الوصل ذلك لغموضه ودقة مسلكه وأنه لا يكتمل لإحراز الفضيلة فيه أحد، إلا كمل سائر معاني البلاغة"<sup>5</sup>، وربط الجرجاني دراسة هذه الثنائية التركيبية بباب من

<sup>1</sup> الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 106

<sup>2</sup> نفس المصدر، ص 106

<sup>3</sup> نفس المصدر، ص 244

<sup>4</sup> نفس المصدر، ص 222

<sup>5</sup> نفس المصدر

أبواب النحو هو العطف، فبين فوائد العطف في المفرد ثم في الجملة فيقول: " واعلم أن سبيلنا أن ننظر إلى فائدة العطف في المفرد، ثم نعود إلى الجملة فننظر فيها ونتعرف على حالها"<sup>1</sup>

ويضع الجمل على ثلاثة أضرب:

"إذ قد عرفت هذه الأصول والقوانين في شأن فصل الجمل ووصلها، اعلم أنا قد حصلنا من ذلك على أن الجمل على ثلاثة أضرب"<sup>2</sup>:

- جملة حالها مع التي قبلها حال الصفة مع الموصوف والتأكيد مع المؤكد، فلا يكون فيها العطف البتة، لشبهه العطف فيها، لو عطفت بعطف الشيء على نفسه.

- جملة حالها مع التي قبلها حال الاسم، يكون غير الذي قبله إلا أنه يشاركه في حكم ويدخل معه في معنى، مثل أن يكون كلا الاسمين فاعلا، أو مفعولا، أو مضافا إليه، فيكون حقها العطف.

- "وجملة ليست في شيء من الحالتين، بل سبيلها مع التي قبلها سبيل الاسم مع الاسم لا يكون منه في شيء فلا يكون إياه ولا مشاركا له في المعنى"<sup>3</sup>

ويذكر الغاية والقصد الذي يتوحي من العطف وتركه في قوله " وترك العطف يكون إما للاتصال إلى الغاية أو الانفصال إلى الغاية، والعطف لما هو واسطة بين الأمرين، وكان له حال بين الحالين، فأعرفه"<sup>4</sup>.

➤ الاستدلال بالمعنى على المعنى:

جاء في الدلائل: " ههنا عبارة مختصرة وهي أن تقول (المعنى) و (معنى المعنى) تعنى (بالمعنى) المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة و (معنى المعنى) أن تعقل من اللفظ معنى ثم

<sup>1</sup> الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص 222

<sup>2</sup> نفس المصدر، ص 243

<sup>3</sup> الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص 243

<sup>4</sup> نفس المصدر

يفضي بك ذلك المعنى الى معنى آخر، كالذي فسرت لك<sup>1</sup>، يقول في موضع آخر: "إذا رأيتهم يجعلون الألفاظ زينة للمعاني وحلية عليها أو يجعلون المعاني كالجواري، والألفاظ كالمعارض لها... الى أشباه ذلك بما يفخمون به أمر اللفظ، ويجعلون المعنى ينبل به ويشرف، فاعلم أنهم يضيفون كلاما قد أعطاك المتكلم أغراضه فيه من طريق معنى المعنى، فكني، وعرض، ومثل واستعار، ثم أحسن في ذلك كله وأصاب، ووضع كل شيء منه في موضعه وأصاب به شاكلته"<sup>2</sup>، ويتابع قوله "وعمد فيما كنى به وشبه ومثل، لما حسن مأخذه، ودق مسلكه، ولطفت اشاراته، وأن المعرض وما في معناه ليس هو اللفظ المنطوق به ولكن معنى اللفظ الذي دلت به على المعنى الثاني"<sup>3</sup>، وهو كذلك يرى بأن "صور ل تتغير بنقلها من لفظ الى لفظ، حتى يكون هناك اتساع ومجاز وحتى لا يرد من الالفاظ ظواهر ما وضعت له في اللغة ولكن يشار بمعانيها الى معان أخرى"<sup>4</sup>.

#### ➤ الانسجام عند الجرجاني:

اعتمد الجرجاني على نصوص حقيقية وليس على مجرد أمثلة مقطوعة أو مصنوعة، وتحدث في كتابه أسرار البلاغة عن التمثيل على أنه لا يحدث إلا من جملة من الكلام أو جملتين أو أكثر، "وعلى الجملة، فينبغي أن تعلم أن المثل الحقيقي والتشبيه الذي هو الأولى بأن يسمى (تمثيلا) لبعده عن التشبيه الظاهر الصريح، ما تجده لا يحصل لك إلا من جملة من الكلام أو جملتين أو أكثر، حتى إن التشبيه كلما كان أوغل في كونه عقليا محضا، كانت الحاجة الى الجملة أكثر"<sup>5</sup>، ويورد مثالا قوله تعالى: "إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس" (سورة يونس الآية 24)، ويعلق الجرجاني على هذه الآية مشيرا إلى أن الجمل

<sup>1</sup> نفس المصدر، ص 263

<sup>2</sup> دلائل الاعجاز، ص 263

<sup>3</sup> نفس المصدر، ص 263

<sup>4</sup> نفس المصدر، ص 265

<sup>5</sup> الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 108

تداخلت مع بعضها البعض، حتى أصبحت كأنها جملة واحدة، فهو يقول: "انظر كيف كثرت الجمل فيه؟ حتى إنك ترى في هذه الآية عشر جمل إذا فصلت وهي وإن كان قد دخل بعضها في بعض حتى كأنها جملة واحدة، فإن ذلك لا يمنع من أن تكون صور الجمل معنا حاصلة تشير إليها واحدة، ثم إن الشبه منتزع من مجموعها، من غير أن يمكن فصل بعضها عن بعض، وإفراد شطر من شطر، حتى إنك لو حذفتم منها جملة واحدة من أي موضع كان أدخل ذلك بالمعنى من التشبيه"<sup>1</sup>، فالذي جعل الجمل متصلة ببعضها البعض ومترابطة هو عدم إمكانية الوصول إلى المعنى من التمثيل باعتماد كل واحدة من الجمل على أفراد، وقد انتبه الجرجاني إلى مسألة مدى مساهمته في انسجام النصوص والخطابات، حيث إن التأليف عنده يحصل من تآلف أجزاء النص مع بعضها البعض فلا ينظر إلى الأجزاء المفصلة عن بعضها البعض.

وفي الختام تبدو قضايا الاتساق والانسجام واضحة عنده من خلال تناوله للظواهر اللغوية التي عالج من خلالها قضايا الوصل والفصل، والتقديم والتأخير، وكذا مفهوم النظم، والتمثيل، والشبيه، وغيرها من القضايا الموجودة في ثنايا مؤلفيه (دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة).

## المبحث الثاني: السكاكي (555هـ/626هـ)

### 1) تعريفه:

هو سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي الخوارزمي الحنفي الشهير بالسكاكي، ولد سنة 555هـ وتوفي سنة 626هـ، نشأ السكاكي بمدينة خوارزم، أسرته كانت معروفة بصنع المعادن وسبكه، يعتبر قامة بارزة في علوم البيان، تفرغ للعلم وأخلص له فأكب عليه يستلهمه بحماس شديد متعطشا له، ارتوى من جداول الفلسفة والمنطق والاعتزال والفقه وأصوله وعلوم اللغة والبلاغة، وكان اماما متبحرا في النحو والتصريف وعلمي المعاني والبيان والعروض والشعر، تتلمذ على يد سديد بن محمد علاء الدين الحناطي ومحمود بن عبيد الله بن صاعد بن محمد المروزي الحارثي.

<sup>1</sup> الجرجاني، أسرار البلاغة، ص109

(2) آثاره:

- مفتاح العلوم.
- كتاب الجمل (وهو شرح لكتاب الجمل لعبد القاهر الجرجاني).
- التبيان.
- الطلسم (وهو باللغة الفارسي).
- رسالة في علم المناظرة.

(3) مظاهر النصية عند السكاكي:

له كتاب سماه بمفتاح العلوم وقد ضمن فيه العديد من العلوم منها النحو والصرف، وعلمي البيان والمعاني، وكذا علمي القوافي والعروض، وهو في مقدمة كتابه يقول: "ضمنت كتابي هذا من أنواع الأدب دون نوع اللغة ما رأيته لا بد منه، وهي عدة أنواع متآخدة، فأودعته علم الصرف بتمامه... وأوردت علم النحو بتمامه وعلمي المعاني والبيان... ولما كان تمام علم المعاني بعلمي الحد والاستدلال لم أرى بدا من التسمح بهما، وحين كان التدرب في علمي المعاني والبيان موقوفا على ممارسة باب النظم وباب النثر ورأيت صاحب لنظم يفتقر الى علمي العروض والقوافي ثنيت عنان القلم الى إيرادهما"<sup>1</sup> يعتبر كتابه نشاطا لغويا ذي وظائف متعددة لتعدد العلوم الموجودة في ثناياه، وأما محمد العمري فيرى "أن المشروع الذي ذهب اليه السكاكي كان أشب بعلم النص عند المعاصرين"<sup>2</sup>

➤ الفصل والوصل:

ويسميه بالفن يورده بالفن الرابع بعنوان ( الفصل والوصل، الايجاز والاطناب) ويعرفه كآلاتي: "مركوز في ذهنك لا تجد لرده مقالا، ولا لارتكاب جحده مجالا، أن ليس يمتنع بين مفهومي جملتين

<sup>1</sup> السكاكي، مفتاح العلوم ضبطه وكتب هوامشه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983، ط2، 1987، ص06

<sup>2</sup> محمد العمري، البلاغة بين التخيل والتداول، افريقيا، الشرق، المغرب، د ط، 2005، ص5

اتحاد بحكم التأخي، وارتباط لاحدهما بالآخر مستحکم الأواخي، ولا أن يباين أحدهما الآخر مباينة الأجنب لانقطاع الوشائج بينهما من كل جانب<sup>1</sup> نرى في حديثه قد استعمل مصطلحات تعود على تحقيق التماسك في النص فقد استعمل مصطلح ( اتحاد) و (ارتباط) و (التأخي) و (مستحکم) وكذا (انقطاع الوشائج) ففي تلك المصطلحات السالف ذكرها يظهر مدى فضل الوصل في تحقيق المعنى وبيانه بداية من تحقيق التماسك بين حمتين ومفهوميهما وأن لا تتفاضل وتختلف كي لا تفصلا وتنقطع العلاقة والروابط بينهما لما فيها من تضليل للمعنى.

### ➤ الإبدال:

ويعرفه " الحالة المقتضية للإبدال فهي أن يكون الكلام السابق غير واف بتمام المراد وإيراده، أو كغير الوافي والمقام مقام امتناع بشأنه، إما لكونه مطلوباً في نفسه، أو لكونه غريباً، أو فضيلاً أو عجيباً، أو لطيفاً أو غير ذلك مما له جهة استدعاء للاعتناء بشأنه، فيعيد المتكلم بنظم أوفى منه على نية استئناف القصد الى المراد، ليظهر بمجموع القصدين اليه في الأول والثاني<sup>2</sup>، ويظهر في الفقرة الآتية الاعتناء بالمخاطب /المستمع في تحقيق الفائدة من الكلام بحصوله على المعنى كاملاً متحققاً في الذهن، ففي تخير الألفاظ عناية ليلبغ المتكلم عن مقصده وهي ما يسمى في لسانيات النص بالقصدية وهو القصد من انتاج الخطاب ففي ما قاله السكاكي أن الحال المقتضية للإبدال أن يكون الكلام السابق غير واف بتمام المراد، فهاهنا يجبر المتكلم أو منتج الخطاب بتغيير ألفاظه ليظهر مقصده ويدل ذلك قوله " فيعيد المتكلم بنظم أوفى منه على نية استئناف القصد الى المراد"

### ➤ وصف الكلام:

<sup>1</sup> السكاكي، مفتاح العلوم، ص 248

<sup>2</sup> نفس المصدر، ص 253

في وصف الكلام قال: " أحسن الكلام ما ثقتبه الفكرة، ونظمته الفطنة، ونصل جوهر معانيه في سمط ألفاظه"<sup>1</sup> وأورد وصفا للبراز: " أحسن الكلام ما صدق رقم ألفاظه، وحسن رسم معانيه، فلم يستعجم عند نشر، ولم يستبهم عند طي"<sup>2</sup>

ونلمس في التعريفين المعيارين البارزين في اللسانيات النصية وهما الاتساق والانسجام ففيه من مراعاة المستمع من حيث وضوح المعنى وفيه من حسن اختيار الالفاظ وانتقائها وكذا من ناحية الكم والكيف أي العدد والمعنى، ويورد وصفا للبلغ حيث يقول: " والبلغ من أخذ بخطام كلامه وأناحه في مبرك المعنى، ثم جعل الاختصار له عقلا والايجاز له مجالا، فلم يند عن الأذهان ولم يشذ عن الآذان"<sup>3</sup>.

### ➤ البلاغة والفصاحة:

وتعريف البلاغة" بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها، وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها"<sup>4</sup> وأما الفصاحة" فهي قسمان قسم راجع الى المعنى وهو خلوص الكلام عن التعقيد وقسم راجع الى اللفظ وهو أن تكون الكلمة عربية أصيلة"<sup>5</sup> والمقصود بتعقيد الكلام" أن يعثر صاحبه فكرك في متصرفه ويشيك طريقك الى المعنى ويوعر مذهبك نحو حتى يقسم فكرك ويشعب ظنك الى أن لا تدري من أين تتوصل وبأي طريق معناه يتحصل"<sup>6</sup>

ويقول السكاكي حول علمي المعاني والبيان: " إذ قد تحققت أن علم المعاني والبيان هو معرفة خواص تراكيب الكلام، ومعرفة صياغات المعاني، ليتوصل بها الى توفية مقامات الكلام حقها، بحسب ما يفي قوة ذكائك"<sup>7</sup>

<sup>1</sup> السكاكي، مفتاح العلوم، ص 256

<sup>2</sup> نفس المصدر

<sup>3</sup> السكاكي، مفتاح العلوم، ص 256

<sup>4</sup> نفس المصدر، ص 415

<sup>5</sup> نفس المصدر، ص 416

<sup>6</sup> نفس المصدر

<sup>7</sup> نفس المصدر، ص 432

إن السكاكي في مفتاحه لا يتحدث عن المصطلحات الباغية التي يستعملها في خطابه البلاغي إلا من منظور بلاغي خاص، وكان ما قام به من مشروع في مفتاحه أشبه بعلم النصي عند اللسانيين المعاصرين بحيث قد جعل البلاغة منسوبة في آخر المطاف لعلم المعاني والبيان.

### المبحث الثالث: حازم القرطاجني (608هـ/684هـ)

#### (1) تعريفه:

هو أبو الحسن حازم بن محمد بن الحسن بن محمد بن حازم الأنصاري القرطاجني ، ولد في قرطاجنة شرق الأندلس وإليها ينسب، وصفه ابن رشيد العالم المحدث والشاعر الرحالة بحبر البلغاء وبحر الأدباء فيقول: " أبو الحسن حازم حبر البلغاء وبحر الأدباء ذو اختيارات فائقة واختراعات رائعة لا تعلم أحدا ممن لقيناه جمع من علم اللسان ما جمع ولا أحكم من معاهد علم البيان ما أحكم من منقول ومبتدع وأما البلاغة فهو بحرها العذب والمنفرد فحمل رايتها أميرا في الشرق والغرب، وأما حفظ لغات العرب وأشعارها وأخبارها فهو حمّاد رواياتها وحمّال أوقارها، يجمع في ذلك جودة التصنيف وبراعة الخط"<sup>1</sup> ، تجول في حلقات الدروس في قرطاجنة وغرناطة ومرسية التي درس فيها على يد أبي القاسم أحمد بن محمد الطرسوني وأحمد بن محمد بن هلال العروضي الجزائري الأصل حتى فاق نظراءه كما درس عند أبي الشلوبيين الذي كان يعد من أكبر علماء العربية في الأندلس في ذلك الوقت.

#### (2) آثاره:

-منهاج البلغاء وسراج البلغاء

-المقصورة (مطلعها: لله ما قد هجت في يوم النوى... على فؤادي من تباريح الجوى) وقد شرحها الشريف الغرناطي في كتاب سماه (رفع الحجب المنشورة على محاسن المقصورة)

-الباقى من كتاب القوافي

<sup>1</sup> حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 37

- له ديوان

(3) الممارسة النصية عند القرطاجاني :

تتجلى بعض الممارسات النصية عند حازم في كتابه "منهاج البلغاء وسراج الأدباء"، حيث نجد بعضاً من الظواهر نذكر من بينها:

(4) التماسك النصي عند حازم القرطاجاني:

يورد في كتابه الفقرة التالية وتحتوي من مظاهر التماسك في وضع الكلام وتحسينه حيث يقول: " ولا يعتناص وزن الكلام على المطبوعين إلا حيث يريدون تضمين المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة أو حيث يريدون صوغ الكلام على هيئات بديعة يحتاج فيها الى امرار لفكر على الألفاظ التي يحسد أن ذلك متأت فيها والى التنقيب عما يهيب الكلام بتلك الهيئة من ضروب الترتيبات والوضع، فأما في ما سوى ذلك فالوزن أيسر شيء على من له أدنى بروع في هذه الصناعة<sup>1</sup> ويتابع قوله فيما يرجع الى الشعر : " أن يكون قدر الوزن فوق قدر المعنى فيحتاج الى إعمال الحيلة فيما يستحسن من الحشو، أو من المعاني التي يكون في اقتراها بالمعنى المقصود بالقصد الأول قصد تحسين الكلام وإبداع في حسن وضعه ونسقه وترتيب بعضه ببعض، فيقل أيضاً وجود ما يجيء من العبارات عفواً على هذه الصفة"<sup>2</sup>، وهنا يتحدث عن قواعد النسق والترتيب والانسجام التي لا بد منها في النص، وهو يقول في موضع آخر عن الروية: " فأما الروية فإن المباحث فيها كثيرة والمذاهب فيها بعيدة لكون الزمان فيها يتسع لطلب الغايات المستطاعة من بناء الكلام على ما قدمته من أصناف محاسن الألفاظ والمعاني وإبداع النظم والتأنق في إحكام الأسلوب"<sup>3</sup> فحديثه عن بناء الكلام في صميم الاتساق فلا يكون البناء محكما إلا إذا توفرت فيه الأساسات والدعام والأدوات التي تحقق هذا البناء كذلك النص فتمام بنائه واحكامه وجود الروابط وكذا الانسجام المتحقق بين فقراته ومعانيه، ويورد عنوانا في كتابه كالأتي " معلم دال على طرق العلم

<sup>1</sup> القرطاجاني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 209

<sup>2</sup> نفس المصدر، ص 210

<sup>3</sup> القرطاجاني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 214

بتحسين هيئات العبارات والتأنق في اختيار موادها وإجادة وضعها ورصفها<sup>1</sup> وبورد تحت هذا العنوان قوله: " ومن ذلك حسن التأليف وتلاؤمه والتلاؤم إيقاع في الكلام على أنحاء: منها أن تكون حروف الكلام بالنظر الى ائتلاف بعض حروف الكلمة مع بعضها وائتلاف جملة كلمة مع جملة كلمة تلاصقها منتظمة في حروف مختارة متباعدة المخارج مرتبة الترتيب الذي يقع فيه خفة وتشاكل ما، ومنها ألا تتفاوت الكلم المؤتلفة الكلم في مقدار الاستعمال فتكون الواحدة في نهاية الابتدال والأخرى في نهاية الحوشية وقلة الاستعمال"<sup>2</sup>، وفي هذه الفقرة يتوجه حديثه عن حسن التأليف وتلاؤم تفاصيله فمما لا بد منه مراعاة التناسق الصوتي للحروف في التأليف والترابط بين الجمل والكلمات.

### ➤ التقديم والتأخير:

تحدث القرطاجني حول ظاهرة التقديم والتأخير، فقد كان مدققا في قضية تحليل جزئيات النص، فبعد تحديده الكيفية الشكلية ويقصد بها تألف الالفاظ من ناحية المحتوى، ولقد أورد قضية التقديم والتأخير في حديثه عن التسهل والتكلف في العبارات حيث يقول: " التسهل في العبارات وترك التكلف، والتسهل يكون بأن تكون الكلم غير متوعرة الملائف والنقل من بعضها الى بعض وأن يكون اللفظ طبق للمعنى تابعا له جارية العبارة من جميع أنحائها على أوضح مناهج البيان والفصاحة. هذا ما لم يكن المقصد إغماض المعاني، ومعرفة تفصيل هذا الإجمال تستفاد من أبواب قد قدمتها"<sup>3</sup>، ويتابع تعريفه للتكلف: " وأما التكلف فيقع إما بتوعر الملائف أو ضعف تطالب الكلم أو بزيادة ما لا يحتاج إليه أو نقص ما يحتاج، وإما بتقديم وتأخير، وإما بقلب وإما بعدل صيغة هي أحق بالموضع منها وإما بإبدال كلمة مكان كلمة هي أحسن موقعا في الكلام منه، وإما بتكرار، وإما بالحيدة عن معنى تقصر العبارة عنه الى معنى مؤد عن مثل تأديته تطول العبارة عنه"<sup>4</sup> وملاحظ حول هذه الفقرة أنه لم يورد التقديم

<sup>1</sup> نفس المصدر، ص 222

<sup>2</sup> القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 222

<sup>3</sup> القرطاجني، منهاج الأدباء وسراج الادباء، ص 223

<sup>4</sup> نفس المصدر، ص 223

والتأخير فقط بل ذكر القلب والابدال والزيادة والنقصان، فمن ذلك يقع في الكلام تقديم وتأخير أو يتخالف وضع الاسناد.

ينفرد ويتميز القرطاجني عن غيره بنظرته الشمولية للنص فيعد أول من قسم القصيدة الى فصول وزعم أن لها أحكاما في البناء، وأول من أدرك الصلة الرابطة بين مطلع القصيدة والمقطع.

### ➤ تماسك الفصول:

تكلم عن بناء القصيدة، وكذا عن كيفية ترابط فصولها وتماسكها، وهو يقول: " ويجب أن يردف البيت الأول من الفصل بما يكون لائقا به من باقي معاني الفصل مثل أن يكون مقابلا له على جهة من جهات التقابل أو بعضه مقابلا لبعضه أو (1) يكون مقتضى له مثل أن يكون مسببا عنه، أو تفسيراً له، أو محاكى بعض ما فيه ببعض ما في الآخر، أو غير ذلك من الوجوه التي تقتضي ذكر شيء بعد شيء آخر، وكذلك الحكم فيما يتلى به الثاني والثالث إلى آخر الفصل"<sup>1</sup>، وورد في كلامه عن تماسك الفصل إشارة خاطفة تمهد سبيل الانتقال من شروط ترابط الفصل الى ترابط الفصول حيث يقول: "وربما ختم الفصل بطرف من أغراض الفصل الذي يليه أو إشارة الى بعض معانيه"<sup>2</sup>

وتتجلى مظاهر انسجام النص من خلال القوانين التي أوردتها فيما يجب في ترتيب الفصول ووضعها وهي كالآتي:

● **القانون الأول:** "استجادة مواد الفصول وانتقاء جوهرها، فيجب أن تكون متناسبة المسموعات والمفهومات حسنة الاطراد غير متخاذلة النسج غير متميز بعضها عن بعض التمييز الذي يجعل كل بيت كأنه منحاز بنفسه لا يشمله وغيره من الأبيات بنية لفظية أو معنوية يتنزل بها منه منزلة الصدر من العجز أو العجز من الصدر...ويجب أن يكون نمط نظم الفصل مناسب للغرض...وأن تكون الفصول معتدلة المقادير بين الطول والقصر"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 290

<sup>2</sup> القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 290

<sup>3</sup> نفس المصدر، ص 288

- القانون الثاني: "ترتيب بعض الفصول الى بعض، فيجب أن يقدم من الفصول ما يكون للنفس به عنايه بحسب الغرض المقصود بالكلام، ويكون ذلك متأتيا فيه حسن العبارة اللائقة بالمبدأ، ويتلوه الأهم فالأهم الى أن تتصور الثقافة ونسبه بين فصلين تدعو الى تقديم غير الأهم على الأهم، فهناك يترك القانون الأصلي في الترتيب"<sup>1</sup>.
  - القانون الثالث: في تأليف بعض بيوت الفصل الى بعض وذلك يكون بأن يبدأ منها بالمعنى المناسب لما قبله، وإن تأتي مع هذا أن يكون ذلك المعنى هو عمدة معاني الفصل"<sup>2</sup>.
  - القانون الرابع: " في وصل بعض الفصول ببعض فالتأليف في ذلك على أربعة:
- 1- ضرب متصل العبارة والغرض (يكون فيه لآخر الفصل بأول الفصل الذي يتلوه علقه من جهة الغرض وارتباط من جهة العبارة).
  - 2- ضرب متصل العبارة دون الغرض (يكون أول الفصل فيه رأس الكلام ويكون لذلك الكلام علقه بما قبله من جهة المعنى)<sup>3</sup>.
  - 3- ضرب متصل الغرض دون العبار (وهذا ضرب منحط عن الضربين اللذين قبله)<sup>4</sup>.
  - 4- ضرب منفصل الغرض والعبارة (لا توصل فيه عبارة بعبارة ولا غرض بغرض مناسب له بل يهجم على الفصل هجوما من غير إشعار مما قبله ولا مناسبة بين أحدهما والآخر)<sup>5</sup>.

6"

<sup>1</sup> نفس المصدر، ص 289

<sup>2</sup> نفس المصدر

<sup>3</sup> القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص 291

<sup>4</sup> نفس المصدر

<sup>5</sup> نفس المصدر

<sup>6</sup> نفس المصدر، ص 290

➤ التلخيص:

ويعرف بأنه الانتقال من غرض الى غرض آخر دون أن يشعر المتلقي بذلك، فغايته ربط المعاني ببعضها البعض، وقد سماه القرطاجني بالانعطاف من غرض الى آخر، وقد تنبه الى وسيلة أخرى للخروج من غرض لآخر سماه الالتفات.

يقول: "اعلم أن الانعطاف بالكلام من جهة الى أخرى أو غرض الى آخر لا يخلو من أن يكون مقصودا أولا، فبذكر الغرض الأول يستدرج منه الى الثاني، وتجعل مآخذ الكلام في الغرض الأول صالحة مهيأة لأن يقع بعدها الغرض الثاني موقعا لطيفا"<sup>1</sup>، ويورد قولاً في تعريف الصورة الالتفاتية: "هي أن تجمع بين حاشيتي كلاميين متباعدين المآخذ والأغراض وأن ينعطف من احدهما الى الأخرى انعطافاً لطيفاً من غير واسطة، تكون توطئة للصيرورة من أحدهما الى الآخر على جهة من التحول"<sup>2</sup>، ويعرف الانعطاف غير الالتفاتي "والذي يكون بواسطة بين المنعطف منه والمنعطف اليه، يوجد بها مهيئاً للخروج من جهة الى أخرى وسبب يجعل سبيلاً الى ذلك يشعر به قبل الانتهاء اليه"<sup>3</sup>.

إن ما يجب اعتماده في الخروج من غرض الى غرض "ان يكون الكلام غير منفصل بعضه عن بعض، وأن يحتال فيما يصل بين حاشيتي الكلام ويجمع بين طرفي القول حتى يلتقي طرف المدح والنسيب أو غيرها من الأغراض المتباينة التقاء محكما"<sup>4</sup>.

وفي ختام هذا الفصل يمكننا القول إن بذور النصية متجلية وبارزة في التراث العربي في مؤلفاته سواء البلاغية أو الأصولية أو النقدية، تتطلب منا نحن كباحثين الغوص فيها وإبرازها فتراثنا العربي زاخر بالعديد من القضايا والظواهر التي تستحق البحث والتنقيب.

<sup>1</sup> القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص314

<sup>2</sup> نفس المصدر، ص315

<sup>3</sup> القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص315

<sup>4</sup> نفس المصدر، ص318

## الفصل الثاني: الممارسة النصية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ

- المبحث الأول: ترجمة مختصرة عن المؤلف والمؤلف
- المبحث الثاني: تجليات ملامح النظرية النصية في كتابه

## المبحث الاول: ترجمة مختصرة عن المؤلف والمؤلف:

ترجمة الجاحظ:

## (1) تعريفه:

وهو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكنايني الليثي بالولاء، وُلد في البصرة سنة 159هـ بحسب بعض المؤرخين<sup>1</sup>، وسمي بالجاحظ لجحوظ عينيه وقد يقال (الحدقي) لكبر حدقته أيضاً، وكان قد عمل جمالاً عند عمرو بن قلع الكنايني، أما نسبه فينتسب الجاحظ إلى بني كنانة فهو بصريٌّ، وقد نشأ في طبقة اجتماعية فقيرة، وكان عصامياً يعتمد على نفسه في كسب رزقه، ورغم ذلك فهو لم يترك العلم والمطالعة فأحب العلم واللغة والأدب، فتعلم على أيدي علماء البصرة، وكان واسع الثقافة والعلم، وقد كان الجاحظ شاعراً وناقداً في الشعر .

وقد عاش الجاحظ قرابة المئة عام، وأما العصر الذي عاش فيه فقد كان عصر ازدهارٍ لكافة العلوم العربيّة والإسلاميّة بحيث شهدت الدولة الإسلاميّة نهضةً ورقياً في كافة ميادين الحياة، ويعود الفضل في ذلك للخلفاء والوزراء، بحيث تبوّأت اللغة العربيّة مكانة رفيعةً في تلك الفترة، كما نشطت حركة الترجمة والنقل عن الثقافات الأجنبية، وفي ما كتبه الرجل عما يمكن أن يعبر أعمق عن تلك التحولات وأهمها: "إنه الوعي الحاد بضرورة أن تقوم الكتابة والكتاب بديلاً حضارياً عن اللفظ والذاكرة"<sup>2</sup>، وكانت له أساليب ومذاهب وآراء خاصة به في الأدب واللغة، وقد وضع طريقة بالإنشاء عُرفت باسمه، لذا اعتُبر قدوة المنشئين وإمامهم في ذلك العصر، وامتاز أسلوبه الإنشائي برقيّ الألفاظ والجمل، والسهولة والوضوح، وسحر البيان، وتظهر شخصية الجاحظ بقوة في كتاباته، كما يكثر فيه أيضاً من الاستطراد حتى يخرج بالقارئ عن الموضوع الرئيسي ليتناول موضوعاً غيره ثم يعود للموضوع الأول، وهذا يدل على غزارة مادته وطاعة الألفاظ له وكثرة المران على الجدل، درس المنطق والفلسفة والرياضيات والطبيعيات

<sup>1</sup> ينظر إيمان الحيارى بحث عن الجاحظ، صفحة أدباء وشعراء، ١ مارس ٢٠٢٠، ينظر أيضاً كتاب البيان والتبيين للجاحظ ت

حسن السنوبي، ص 09

<sup>2</sup> حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العلماء العرب، الحدث الجاحظي، ص 138

والسياسة والأخلاق والفراسة، وقد أبدع فيها جميعها، وتكوّنت لديه ثقافة متنوعةٍ وغزيرةٍ، "وبهذا يمكن اعتباره الحلقة الأولى لحركة تسمى النزعة الموسوعية في الفكر العربي مع ما هنالك من فروق في الأصول والسباب جعلتها عند الجاحظ مؤشراً خلق حضاري"<sup>1</sup>، توفي الجاحظ في محرم سنة خمس وخمسين ومائتين بالبصرة عن عمر يناهز خمس وتسعين سنة ونيف رحمه الله.

## (2) شيوخه:

- أبو عبيدة عمر بن المثنى
- أبي زيد الأنصاري
- أبي الحسن الأخفش
- خلف الأحمر
- يحيى بن نجيم
- أبي مالك عمرو بن كركره
- أبو يوسف القاضي
- يزيد بن هارون
- ثمامة بن الأشرس
- النّظام (إبراهيم بن سيار بن هانئ)

## (3) مؤلفاته:

اعتبر الجاحظ من أغزر المؤلفين إنتاجاً، فكتب عن الأدب والشعر، وكتب في الديانات والعقائد والإمامة والنبوة، والمذاهب الفلسفية ومن مؤلفاته:

<sup>1</sup> حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، ص 143

- كتاب الحيوان
- البيان والتبيين
- كتاب البُخلاء
- كتاب التّاج في أخلاق الملوك
- كتاب أحوال أمراء المؤمنين
- رسائل الجاحظ
- كتاب الحنين الى الأوطان
- كتاب المحاسن والاضداد
- كتاب مفاخرة الجوّاري والغلمان
- كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان
- كتاب الترييع والتدوير
- كتاب العبر والاعتبار
- كتاب تهذيب الاخلاق
- كتاب سلوة الحريف في مناظرة الربيع والحريف

#### (4) التعريف كتاب البيان والتبيين:

ألف الجاحظ الكثير من الكتب والتي سبق ذكرها ويرى حمادي صمود في كتابه التفكير البلاغي أي كتاب البيان والتبيين هو كتاب من أعظم مؤلفات الجاحظ، ويعد قطب التأليف الأدبي عند الجاحظ ومعدن تفكيره البلاغي وملاحظاته البيانية، وقد حرص فيه المؤلف على استقصاء سبل

القول وتصاريف اللغة لاكتشاف سر صناعة الكلام، وقد تحدث الحسن ابن شيق القيرواني (390هـ-463هـ) عن قيمة

الكتاب فقال: " قد استفرغ أبو عثمان الجاحظ-وهو علامة وقته- الجهد وصنع كتابا لا يُبلغ جودة وفضلا ثم ادعى إحاطته بهذا الفن لكثرتة"<sup>1</sup>، وكان قبله أبو هلال بن عبد الله العسكري فيقول: " هو لعمرى كثير الفوائد، جم المنافع لما اشتمل عليه من الفصول الشريفة والفقر اللطيفة، والخطب الرائعة، والأخبار البارعة، وما حواه من أسماء الخطباء والبلغاء، وما نبه عليه من مقاديرهم في البلاغة والخطابة وغير ذلك من فنونه المختارة، ونعوته المستحسنة، إلا أن الابانة عن حدود البلاغة وأقسام البيان والفصاحة مبثوثة في تضاعيفه، منتثرة في أثنائه، فهي ضالة بين الأمثلة، لا توجد إلا بالتأمل الطويل، والتصفح الكثير"<sup>2</sup>، كما سجل ابن خلدون المغربي (732هـ-808هـ) رأي قدماء العلماء في هذا الكتاب حيث يقول: " سمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين هي: أدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرد، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها"<sup>3</sup>، ويلاحظ على مضمون الكتاب أمران أساسيان يذكرهما حمادي صمود في كتابه وهما: أما الأول (تنوع المادة وتعدد موارده)، وأما الثاني فهو (عدم تقيد صاحبها في التأليف بينها بمنهج محكم يجنبه الفوضى)، "فالمؤلف على بينة من غزارة المادة وتشعبها وهو جاد الوعي بضرورة ترسم منهج محكم يمكن من اخضاعها وسوقها الى القارئ في أبواب واضحة الفواصل متينة الروابط، إلا أن الإنجاز الفعلي بقي دون الوعي المنهجي النظري فجاء تخطيط الكتاب صورة لهذا الصراع الذي حملناه على التقاء مفهومين للكتابة هما:

التدوين والتنظيم"<sup>4</sup>

<sup>1</sup> حمادي صمود، التفكير البلاغي، ص153

<sup>1</sup> نفس المرجع ص155

<sup>2</sup> البيان والتبيين، مقدمة المحقق، ج1، ص05

<sup>3</sup> نفس المرجع، ص06

5) بيانات الكتاب:

• عنوان الكتاب: البيان والتبيين (ط. الخانجي) (ت: هارون)

• المؤلف: الجاحظ

• المحقق: عبد السلام محمد هارون

• حالة الفهرسة: مفهرس على العناوين الرئيسية

• الناشر: مكتبة الخانجي

• سنة النشر: 1418هـ / 1998م

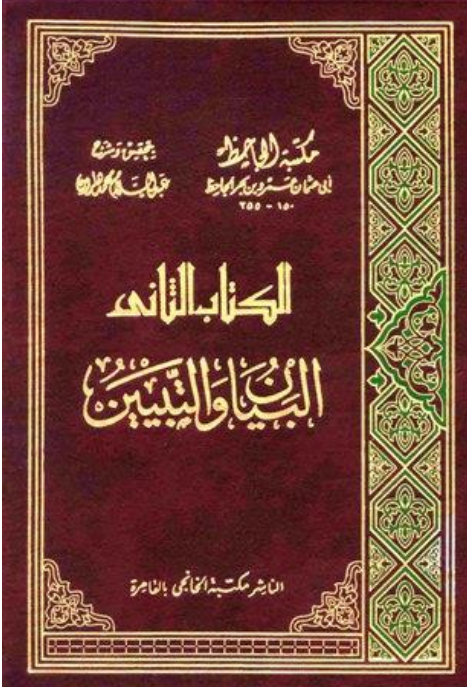
• عدد المجلدات: 4

• رقم الطبعة: 7

• عدد الصفحات: 1600

6) فهرسة الكتاب:

ضم كتاب الجاحظ عدة أبواب منها: (باب البيان)، و(البلاغة)، و(باب آخر في ذكر اللسان)، و(باب في الصمت)، و(باب شعر وغير ذلك من الكلام مما يدخل في باب الخطب)، و(باب في ذكر المعلمين)، و(باب من الأسجاع في الكلام)، كما ضمن في الجزء الأول (خطبة من خطب الرسول صلى الله عليه وسلم)، وكذا (باب من مزدوج الكلام)، و(باب من اللغز في الجواب)، و(باب اللحن)، و(باب من الكلام المحذوف)، و(أخلاق من شعر ونوادر وأحاديث)، و(كتاب الزهد)، (من نساك البصرة وزهادهم)، و(من زهاد الكوفة)، (وجه التدبير في الكتاب إذا طال)، و(من خطباء الخوارج)، وغيرها من الأبواب مفرقة في الأجزاء الأربعة والتي تضم قرابة 100 عنوان (باب).



## المبحث الثاني: تجليات ملامح النظرية النصية في كتاب البيان والتبيين:

"يتميز الجاحظ بوقفاته المتنوعة والمثيرة لكثير من التساؤلات، وتنوع مجالات بحثه والطموحات الواسعة التي امتدت بنظرته بحيث أثارت كثيرا من القضايا النصية العميقة، كعلاقة الألفاظ بالمعاني، وخصائص التشكيل الصوتي للمعنى الشعري، ومشكلة النظم أو البنية وغيرها، تكون المفاتيح التي يلج بواسطتها النقاد بعده عالم النص"<sup>1</sup>

## 1) مفهوم النص عنده وحسن صياغته وتأليفه:

مفهوم النص عنده من مفهوم البيان، وهو يذكر البيان في عدة مواضع فيعطيه تعريفا مطلقا بأنه: "اسم جامع لكل شيء كشف لك عن قناع المعنى، وهتك الحجاب دون ضمير، حتى يضفي السامع الى حقيقته، ويهجم على محصله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضوع"<sup>2</sup>، هذا هو تعريفه المشهور للبيان ويفيد اطلاق البيان لكل ما يكشف عن المعنى سواء بلفظ أو غيره، ولكن البيان الذي قصد إليه الجاحظ وعناه في كتابه هو "القدرة على الابانة والكشف عما في النفس والافصاح عما في الضمير بطريقة اللسان والألفاظ"<sup>3</sup>.

كما يرى في الشعر أنه " ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخرج نتعلم أنه أفرغ إ فراغا واحدا وسبك سبكا واحدا فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان"<sup>4</sup>، كما يرد مصطلح السبك في كتابه في موضع آخر حيث يقول: " ونحن-أبقاك الله- إذا ادّعينا للعرب أصناف البلاغة من القصيد والأرجاز، ومن المنثور والأسجاع ومن المزدوج ومما لا يزدوج، فمعنا أن ذلك لهم شاهد صادق من الديباجة الكريمة

<sup>1</sup> الأخضر جمعي، ائتلاف اللفظ والمعنى في النقد العربي القديم بينات النقاد والمتكلمين والفلاسفة، ص 77 انظر

<sup>2</sup> الجاحظ، البيان والتبيين، ج 1، ص 76

<sup>3</sup> فوزي عبد ربه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ في كتاب البيان والتبيين، ص 122

<sup>4</sup> نفس المرجع، ج 1، ص 67

والرونق العجيب والسبك والنحت، الذي لا يستطيع أشعر الناس اليوم، ولا أرفعهم في البيان أن يقول مثل ذلك إلا في اليسير والنبد القليل"<sup>1</sup>.

ونورد تعريفاً آخر من كتابه يحدد فيه شروط حسن الكلام حيث يقول: " أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه وكان الله عز وجل قد ألبسه من الجلالة، وغشاه من نور الحكمة على حسن نية صاحبه وتقوى قائله فإذا كان المعنى شريفاً واللفظ بليغاً وكان صحيح الطبع بعيداً عن الاستكراه ومنزهاً عن الاختلال مصوناً عن التكلف"<sup>2</sup> وهو في عدة مواضع من كتابه يؤكد على حسن اختيار اللفظ ودلالته على معناه وكذا حسن سبك النص وصناعته ويذكر في موضع: "وزين ذلك كله وبهاؤه وحلاوته وسناؤه، أن تكون الشمائل موزونة، والألفاظ معدلة، واللهجة نقية، فإن جامع ذلك السن والسمت والجمال وطول الصمت، فقد تم كل التمام وكمل كل الكمال"<sup>3</sup>.

ويرى الأخصر جمعي أن "هذا هو التأليف المطلوب فعلاً في الكلام أو في النص، لأنه الضابط لما نتخيره من الألفاظ والمعاني والصور والهيئة التي ننقل بها يختلج في صدورنا إلى غيرنا، والقول بهذا ينبئ عن ادراك الجاحظ المتميز لبناء الكلام، وفكرة نظم القرآن، والديباجة، والسبك، والنحت، تتشكل وفق بناء كل نوع، ومعنى النظم يترادف والتأليف والسبك ومساهمتهما في إطار شامل لبنية أي نص"<sup>4</sup>، ويذكر في موضع آخر أن "الجاحظ لم يخصص حديثه عن التلاحم والتلاؤم اللفظي بالمستوى الصوتي فقط بل يتعاضد والمنظور الكلي المؤسس على لحمية المستويات المختلفة في القصيدة"<sup>5</sup>، هو يقول أيضاً: "يكون تحرك الجاحظ في ضبط خصائص الصياغة الجميلة المخرجة للقول وفق معايير البلاغة شاملاً

<sup>1</sup> الجاحظ، البيان والتبيين، ج3، ص29

<sup>2</sup> الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص89

<sup>3</sup> نفس المرجع، ص89

<sup>4</sup> الأخصر جمعي، ائتلاف اللفظ والمعنى في النقد العربي القديم بينات النقاد والمتكلمين والفلاسفة، ص72

<sup>5</sup> الأخصر جمعي، ائتلاف اللفظ والمعنى في النقد العربي القديم بينات النقاد والمتكلمين والفلاسفة، ص74، انظر

يطال اللفظة في مستواها الافراد، مروراً بعلائقها بالمعنى الى فهم للحمة الضامة للوحدات في السياق الواحد في ما أسماه بالنظم أو حسن التأليف والنسج"<sup>1</sup>.

## (2) المتلقي:

إن الحديث عن الكلام يقودنا بالضرورة للحديث عن المتكلم والمتلقي (المستمع/ القارئ)، فلكل منهما دوره البارز لتكون مشاركتهما فعالة في العملية التواصلية، ولكي ينتهيا إلى الغاية المرجوة من الكلام، ويحظى المتلقي بوصفه طرفاً مهماً في العملية التواصلية أو الكلام باهتمام كبير من طرف الجاحظ، ذلك أن البلاغة كانت تعنى بقضية مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وهو يرى بأنه "ينبغي على المتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات"<sup>2</sup>

وقد وضع المتلقي يفرض على المتكلم أوقات الكلام وأوقات التوقف بقدر اقباله على خطابه، فعلى المتكلم أن يتخير الأوقات والحالات لكي يبلغ غايته وهي تحقيق التواصل مع الغير، فالحرص على حصول المنفعة وتحقيق الفهم لدى المستمع واجب يضطلع به المتكلم ويعمل على توفير كل الأسباب من أجل تحقيقه، إن مراعاة المستمع أحياناً أولى من مراعاة الكلام وبذل الجهد في تحسينه، ويقول الجاحظ "قال عبد الله بن مسعود: حدث الناس ما حدثوك بأبصارهم وأذنوا لك بأسماعهم [ولاحظوك بأبصارهم] وإذا رأيت منهم فترة فأمسك"<sup>3</sup> ويذكر في موضع آخر كلاماً لمطرف بن عبد الله يقول: " لا تطعم طعامك من لا يشتهيهِ ... يقول: لا تُقْبِلْ بحديثك على من لا يُقْبِلُ عليه بوجهه"<sup>4</sup> ويذكر أيضاً " من لم ينشط لحديثك فارفع عنه مؤونة الاستماع منك"<sup>5</sup>، وقوله: " نشاط القائل على قدر فهم المستمع"<sup>6</sup>، ثم إن اكتمال مهمة الخطاب بين طرفيه (المتكلم والمتلقي) في تقدير الحالات المحتمل ايصالها،

<sup>1</sup> نفس المرجع، ص 47

<sup>2</sup> الجاحظ، البيان والتبيين، ج 1، ص 144

<sup>3</sup> نفس المرجع، ص 104

<sup>4</sup> نفس المرجع

<sup>5</sup> نفس المرجع، ص 105

<sup>6</sup> البيان والتبيين، ج 2، ص 40

فكما أسلفنا في ذكر قول الجاحظ فيجب على المتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فحال المتلقي ولغته كذلك تفرض على المتكلم ما يقوله، فيقول: "ومدار الأمر على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم، والحمل عليهم على أقدار منازلهم"<sup>1</sup>، وكذلك قوله: "وكلام الناس في طبقات كما أن الناس أنفسهم في طبقات"<sup>2</sup> أي "لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام السوق"<sup>3</sup> ومن خلال كل تلك الأقوال نلاحظ أمرين رئيسيين هما: الأول ما يفرضه المتلقي على المتكلم من شروط من أجل بلوغ الفهم وتحقيق الاتصال، والثاني ما على المتكلم علمه حول جمهوره من أجل نجاح خطابه وأن يلقي استقبالا من طرفهم، فهذه العملية هي مشتركة بين الطرفين فلا تلقى المسؤولية على المتكلم وحده لانهما شركاء في ادراك غاية التواصل، فعلى المستمع أن يحسن الاستماع والإصغاء فيقول: "إذا أنكر القائل عَيِّي المستمع فليستفهم عن منتهى حديثه، وعن السبب الذي أجرى ذلك القول له، فإن وجده قد أخلص الاستماع، أتم له الحديث وإن كان لاهيا عنه حرمة حسن الحديث ونفع المؤانسة، وعرفه بفسولة الاستماع والتقصير في حق المحدِّث"<sup>4</sup>، ويذكر قولاً لأبو مسهر حيث يقول فيه: " ما حدِّثت رجلا قط إلا أعجبني حسن إصغائه حَفِظَ عني أم ضيِّع"<sup>5</sup>، وقال صالح المرسي: " سوء الاستماع نفاق"<sup>6</sup> ويورد قولاً آخر لعبد الله بن شرمة: " أنا وأنت لا نتفق، أنت لا تشتهي أن تسكت وأنا لا أشتهي أن أسمع"<sup>7</sup>.

### (3) المتكلم:

إن للمتكلم دوراً في العملية التواصلية مثله مثل المتلقي، بوصفه المحرك الرئيسي للنص/الخطاب، وأي حديث عن المتكلم هو حديث عن شروط إنتاج الخطاب بما أنه صاحبه والقائم عليه، وكان لزاماً

<sup>1</sup> البيان والتبيين، ج1، ص93

<sup>2</sup> نفس المرجع، ص144

<sup>3</sup> نفس المرجع، ص93

<sup>4</sup> البيان والتبيين، ج2، ص41.

<sup>5</sup> نفس المرجع، ج2، ص40

<sup>6</sup> نفس المرجع، ج2، ص42

<sup>7</sup> البيان والتبيين، ج1، ص98

على المهتمين بكيفية انتاج النص وحيثياته تتبع ورصد التقنيات التي يستعملها المتكلم في سبيل ابلاغ مقاصده.

وقد ذكر الجاحظ في كتابه العديد من الملاحظات والتوجيهات التي تفيد المتكلم وتعينه في انتاج نصه وإبلاغ مقاصده بداية من عقد النية وتحديد القصد انتهاءً ببث النص وتتبع استحسانه من قبل المستمعين، وكذا يشير الى قضية تخير الأوقات والفرص والمقامات لبلوغ الغاية وتحقيق المقصد ونورد قوله: " جماع البلاغة التماس حسن الموقع، والمعرفة بساعات القول"<sup>1</sup>، وأيضا مخاطبة الناس بحسب عقولهم وبألفاظهم ومقاماتهم وبحسب حالاتهم، ومن بين ما ذكره في كتابه كلام بشر بن المعتمر (صحيفته) "التي ألقاها على فتیان إبراهيم بن جبلة بن مخزومة السكوني الخطيب حينما كان يعلم فتیان الخطابة"<sup>2</sup> لما فيها من فوائد وارشادات ونصائح للمتكلم، ومن بين الأمور التي ذكرها أيضا وضوح الصوت فيقول: " فكانوا يمدحون الجهير الصوت ويذمون الضئيل الصوت ولذلك تشادقوا في الكلام ومدحوا سعة الفم وذموا صغر الفم"<sup>3</sup>، ومن الصفات التي ذكرها والتي لا بد للمتكلم والخطيب أو البليغ أن يتصف بها ما يلي: " أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة وذلك أن يكون الخطيب رابطة الجأش ساكن الجوارح قليل اللحظ متخير اللفظ لا بكلام سيد الأمة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام السوقة"<sup>4</sup>.

إن اهتمام الجاحظ بطرفي العملية التواصلية واضح جدا في كتابه فهو يورد في عدة مواضع من كتابه حوارات ومقابلات بين المرسل (المتكلم) والمتلقي (المستمع) فيها أحد يسأل والآخر يجيب، فيستمع الثاني لما يقوله الأول، ويغير كلامه بحسب طلب السامع، ومن أمثلة ذلك قوله: " قال عبد الكريم بن رَوْح الغفاري، حدثني عمر الشمري، قال: قيل لعمر بن عبيدة: ما البلاغة؟ قال: ما بلغ بك الجنة، وعدل بك عن النار، وما بصرك مواقع رشك وعواقب غيِّك، قال السائل: ليس هذا أريد، قال: من لم يحسن أن يسكت لم يحسن أن يستمع، ومن لم يحسن الاستماع لم يحسن القول، قال: ليس

<sup>1</sup> البيان والتبيين، ج1، ص88

<sup>2</sup> البيان والتبيين، ج1، ص135

<sup>3</sup> البيان والتبيين، ج1، ص121

<sup>4</sup> نفس المرجع، ج1، ص92

هذا أريد، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنا معشر الأنبياء بكاءً) أي قليلو الكلام... قال عمر: فكأنك إنما تريد تحخير اللفظ في حسن الافهام، قال: نعم<sup>1</sup>، نلاحظ هنا من خلال هذا المثال تفاعل طرفي الخطاب من أجل تحقيق الفائدة وبلوغ الجواب الأصوب للسؤال، فكان السائل يحاول بلوغ جوابه وذلك بتوجيه المتكلم نحو الجواب الأصوب، فعمل المتكلم يضع تعاريف للبلاغة ويرى صداها عند السامع حتى بلغ ما يريده.

#### (4) الوضوح:

كانت العرب تفضل الوضوح لولعها بالبيان والابانة إذا فليس الوضوح خاصا بالجاحظ فقط ولكنه قد قدم مجموعة من المعايير والمقاييس التي من شأنها أن تحقق غاية البيان والتواصل فيقول: " أحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه، وكان الله عز وجل قد ألبسه من الجلالة، وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله، فإذا كان المعنى شريفا واللفظ بليغان وكان صحيح الطبع بعيدا من الاستكراه، ومنزها عن الاختلال مصونا عن التكلف"<sup>2</sup>، ويورد أيضا قولاً: " سمعت أبا مسلم يقول: سمعت الامام إبراهيم بن محمد يقول: يكفي من حظ البلاغة أن لا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق، ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع"<sup>3</sup>، ومن نصائح بشر بن المعتمر في صحيفته التي أوردها الجاحظ في كتابه قوله: "إياك والتوعر فإن التوعر يسلمك الى التعقيد والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ويشين ألفاظك ... ويقول: كن في ثلاث منازل: فإن الأولى أن يكون لفظك رشيقا عذبا، وفخما سهلا، ويكون معنك ظاهرا مكشوفاً وقريبا معروفا"<sup>4</sup>، وأيضا " قيل للهندي" ما البلاغة؟ قال: وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة، وحسن الإشارة"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> نفس المرجع، ج 1، 114

<sup>2</sup> البيان والتبيين، ج 1، ص 89

<sup>3</sup> نفس المرجع، ص 87

<sup>4</sup> نفس المرجع، ص 136

<sup>5</sup> نفس المرجع، ج 1، ص 88

## 5) مشكلة الألفاظ للمعاني:

تقوم العلاقة بين اللفظ والمعنى على مدى مطابقة الألفاظ للمعاني، فبحسب تطابقهما يكون الحكم على الكلام بالإبانة من عدمها، فلكل معنى لفظ يناسبه والعكس، وليس على المتكلم سوى أن يحسن الاختيار، "ويأخذ مبدأ المطابقة والمشكلة بين المعنى واللفظ مدى أوسع يصبح بمقتضاه تلازم المعنى واللفظ انعكاسا للوظيفة المبتغاة أو تمثيا مع خاصية في اللغة كقيامها على غزارة الدلالات أو محكوما بمفهوم للنوع الأدبي فمبدأ الوضوح واعتماد الدلالة التصريحية في علاقة اللفظ بالمعنى ناتج عن تمسك الجاحظ (بالوظيفة الإفهامية كغاية قصوى لكل مستويات اللغة)"<sup>1</sup>، ثم إن قضية اللفظ والمعنى أخذت حيزا كبيرا في الدراسات العربية، بحيث انقسم النقاد والبلاغيون بين من ينتصر للفظ وبين من ينتصر للمعنى، وبعد الجاحظ واحدا من الفريقين بحيث قد ساهم بقسط وافر في تثبيت هذه الثنائية، و المتبع لنصوص الجاحظ يجده كثيرا ما يجمع بينهما فتعلقه بالمعنى لا يقل عن تعلقه باللفظ، ويرى حمادي صمود أنه "من غير المستبعد أن تكون مكانة هذه الثنائية (اللفظ والمعنى) في تفكيره الأصل في تولد مسلك في البحث يتمثل في تقسيم مختلف المساهمات البلاغية وتصنيفها طبق موقف أصحابها من اللفظ والمعنى"<sup>2</sup>، وسنورد بعضا من أقوال الجاحظ في هذا الصدد: يقول: "أندركم حسن الألفاظ وحلاوة مخارج الكلام، فإن المعنى إذا اكتسى لفظا حسنا وأعاره البليغ مخرجا سهلا، ومنحه المتكلم دلا متعشقا، صار في قلبك أحلى، ولصدرك أملا، والمعاني إذا كسيت الألفاظ الكريمة وألبست الأوصاف الرفيعة، تحولت في العيون عن مقادير صورها"<sup>3</sup>

وقوله: " لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه، فلا يكون لفظه الى سمعك أسبق من معناه الى قلبك"<sup>4</sup>، وقوله أيضا: "ومن أراغ معنى كريما فليلتمس له

<sup>1</sup> الأخصر جمعي، ائتلاف اللفظ والمعنى في النقد العربي القديم، ص50

<sup>2</sup> حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، 272

<sup>3</sup> البيان والتبيين، ج1، ص254

<sup>4</sup> نفس المرجع، ص115

لفظا كريما، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ولا يهجنهما"<sup>1</sup>.

وفي مطابقة اللفظ للمعنى قوله: "ومن علم حق المعنى أن يكون الاسم له طبقا، وتلك الحال له وفقا ويكون الاسم له لا فاضلا [ولا مفضولا] ولا مقصرا ولا مشتركا، ولا مضمنا ويكون مع ذلك ذاكرا لما عقد عليه أول كلامه"<sup>2</sup> وكذا حديث ثمامة حينما سأل جعفر بن يحيى: "ما البيان؟ قال: أن يكون الاسم يحيط بمعناك ويجلي عن مغزك وتخرجه عن الشركة ولا تستعين عليه بالفكرة"<sup>3</sup>، وكذا قوله: "إني أزعم أن سخياف الألفاظ مشاكل لسخياف المعاني"<sup>4</sup>

إن قضية اللفظ والمعنى شأن يطول الحديث فيه، وإن تحقيق الانسجام وإخراج النص/الخطاب/الكلام ف أحسن صورة يحتاج الى أكثر من الإصابة في اختيار المعاني والألفاظ، فقد يبدو في بداية الأمر أن اختيار اللفظ للمعنى أمر سهل ولكن حقيقة الأمر غير ذلك فإنه رغم التوفيق في جانب الاختيار إلا أنه تتفاوت الحظوظ وتتفاضل بين الناس بالتركيز على جانب الشكل والصياغة.

## (6) التحام القصيدة:

لم يتوقف الجاحظ عند مشاكلة اللفظ للمعنى بل تجاوزه الى الحديث عن المعايير التي من شأنها أن تجعل الشعر أو الكلام جيدا، وهو يركز على قضية الالتحام كثيرا ويحرص على تلاحم أجزاء البيت والكلام من أجل بلوغ غاية الفهم والافهام، ثم إن التمام ألفاظ البيت في الشعر لا يعني بالضرورة التحام القصيدة بأكملها فقد تكون الابيات ملتحمة داخليا غير أنها تفتقد للمعنى الكلي فهو يقول: "ومن ألفاظ العرب ألفاظ تتنافر وإن كان مجموعة في بيت شعر لم يستطع المنشد إنشادها إلا ببعض الاستكراه ومن ذلك قول الشاعر:

<sup>1</sup> نفس المرجع، 136

<sup>2</sup> نفس المرجع، ص 93

<sup>3</sup> البيان والتبيين، ص 106

<sup>4</sup> نفس المرجع، ج 1، ص 145

وَقَبْرٌ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرٍ

وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرٍ حَرْبٍ قَبْرٌ<sup>1</sup>

إن كان إنشاد هذا البيت صعباً فالأكيد أن استيعابه يكون صعباً على السامع، فنلاحظ في تكرار حرفي القاف والفاء يجعل أذن السامع تنفر وبالتالي تتنافر الكلمات وتفقد لحمتها، فلا تبلغ من المستمع المبلغ الذي يبلغه البيت المتحد المقترن الالفاظ

ثم قال:

لم يضرها والحمد لله شيء

وانثنت نحو عزف نفس ذهول

فتفقد النصف الأخير من هذا البيت فإنك ستجد بعض ألفاظه يتبرأ من بعض<sup>2</sup> وكذلك ألفاظ هذا البيت متقاربة المخارج، وهذا يعد فاصلاً لتحديد الشعر جيده من رديئة، فأن يتبرأ اللفظ من مجاوره يعني فك أوصال البيت وتقطعه.

ويورد آراء أخرى في بعض أبيات الشعر مثل شعر خلف الأحمر وكذا تعليقه على بيت أبي البيداء الرياحي فيقول: "وأنشديني أبو العاصي قال: أنشدني خلف الأحمر في هذا المعنى:

وبعض قريض القوم أولاد علة

يكذ لسان الناطق المتحفظ

وقال أبو العاصي: وأنشدني في ذلك أبو البيداء الرياحي:

وشعر كبعر الكبش فرق لينه

<sup>1</sup> نفس المرجع، ص 65

<sup>2</sup> البيان والتبيين، ج 1، ص 66

لسان دعي في القريض بجيل<sup>1</sup>

فإنه يقول: " إذا كان الشعر مستكرها وكانت ألفاظ البيت من الشعر لا يقع بعضها مماثلا لبعض كان بينها من التنافر ما بين أولاد العلات وإذا كانت الكلمة ليس موقعها الى جنب اختها مرضيا موافقا كان على اللسان عند إنشاد ذلك الشعر مؤونة"<sup>2</sup>، وأما قوله: " (كبعر الكبش) فإنما ذهب أن (بعر الكبش) يقع متفرقا غير مؤتلف ولا متجاور، وكذلك حروف الكلام أجزاء البيت من الشعر، تراها متفقة ملسا، ولينة المعاطف سهلة، وتراها مختلفة متباينة ومتنافرة مستكرها، تشق على اللسان وتكده، والأخرى تراها سهلة لينة ورطبة متوازنة ، سلسلة النظام خفيفة على اللسان حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد"<sup>3</sup> المتمعن في العبارات الأخيرة من هذا القول يرى مدى الصلة القوية بين أبيات القصيدة وحروفها، كما يبين مدى اهتمام الجاحظ بالتثام ألفاظ البيت في الشعر وعلاقته بالتحام القصيدة ككل، ونورد قوله المشهور حول جودة الشعر حيث يقول: " أجود الشعر ما رأيت متلاحم الأجزاء سهل المخرج نتعلم أنه أفرغ إفراغا واحدا وسبك سبكا واحدا فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان"<sup>4</sup>.

إن الصلة القوية بين أبيات القصيدة لا يمكن وصفها حسب ما أورده الجاحظ إلا كما توجد علاقة اللحمة بين الأخ وأخيه فهو يورد قولاً على لسان عمر بن لجأ لبعض الشعراء: " أنا أشعر منك قال: وبم ذلك؟ قال لأني أقول البيت وأخاه، وأنت تقول البيت وابن عمه"<sup>5</sup>، ويفسح لنا هذا القول المجال للشعر الذي يستحسنه، فإن اللحمة وصلة القرابة بين الأخ وأخيه هي مفسر التقرب في القصيدة بين الأبيات، وتفصح عن مدى التكامل بينها وهذا ما يقصد بالالتحام والاقتران.

<sup>1</sup> نفس المرجع، ص 67

<sup>2</sup> البيان والتبيين، ج 1، ص 67

<sup>3</sup> البيان والتبيين، ج 1، ص 67

<sup>4</sup> نفس المرجع

<sup>5</sup> نفس المرجع، ص 206

وكان للفظه القران أو الاقتران كذلك نصيب في الظهور في كتاب الجاحظ فيورد قول أبو نوفل بن سالم لرؤبة بن العجاج: "يا أبا الجحاف، مُت إن شئت، قال: وكيف ذلك؟ قال: رأيت عقبة بن رؤبة ينشد رجزاً أعجبنى، قال: يقول لو كان لقوله قران، وقال الشاعر:

مهاذبة مناجبة قران

منادبة كأهم الأسود

وأنشد ابن الأعرابي:

وبات يدرس شعرا لا قران له

قد نقحه حولا مما زاداً<sup>1</sup>

فهذا يورده في اقتران الألفاظ، فأما في اقتران الحروف فيقول "إن الجيم لا تقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين، بتقديم ولا بتأخير والزاي لا تقارن الظاء ولا السين ولا الضاد ولا الذال بتقديم ولا بتأخير، وهذا باب كبير وقد يكفي بذكر القليل حتى يستدل به على الغاية التي إليها يجرى"<sup>2</sup>

(7) التكرير:

يورد الجاحظ قضية التكرير في كتابه، ولكن ليس كل كلام قابل للتكرير في كل المواضع، فالتكرير مواضعه ودواعيه التي تفرضه، وهو أداة رهن يد المتكلم إذا أحسن استغلالها في موضعها المناسب كانت موجبة للمدح والثناء، وإن أساء استغلالها ولم يتخير لها موضعها المناسب كانت مدعاة للسأم والملل، وهو يورد مثالا في ذلك وهو حوار الجارية مع ابن السماك، حيث يقول: "وجعل ابن السماك يوما يتكلم وجارية له حيث تسمع كلامه فلما انصرف إليها قال لها: كيف سمعت كلامي؟ قالت: ما أحسنه لولا أنك تكثر ترادده، قال: أردده حتى يفهمه من لم يفهمه من لم يفهمه، قالتك الى ان يفهمه من لا

<sup>1</sup> البيان والتبيين، ج1، ص69

<sup>2</sup> نفس المرجع

يفهمه قد مله من فهمه"<sup>1</sup> وهاهنا تكرار الكلام أدى بملل السامع وسأمه فلم يراعي السماك كل المستمعين وإنما اهتم فقط بتكرير كلامه لكي يضمن أن يفهمه الكل مما أدى إلى سأم من فهم الكلام، وهماك من يرى أن تكرير الكلام أشد من نقل الحجر وهذا رأي الزهري<sup>2</sup>، ويقول الجاحظ: " وما سمعنا بأحد من الخطباء كان يرى إعادة بعض الألفاظ وترداد لمعاني عيّا إلا ما كان من النخار بن أوس العذري، فإنه كان إذا تكلم في الحملات وفي الصفح والاحتمال وصلاح ذات البين وتخويف الفريقين من التفاني والبوار كان ربما ردد الكلام على طريق التهويل والتخويف وربما حمى فنخر"<sup>3</sup> وفي هذا القول نلمس قضية التكرار بنوعيه اللفظي والمعنوي وهذا عنصر من عناصر الاتساق، وفيه أيضا يؤكد على فكرة أن للتكرير مواضعه ودواعيه التي تقتضيه وتفرضه.

---

<sup>1</sup> نفس المرجع، ص 104

<sup>2</sup> نفس المرجع

<sup>3</sup> نفس المرجع، ص 105

خاتمة

وفي ختام بحثنا هذا خلصنا الى مجموعة من النتائج نجملها كالاتي:

- ✓ تعدد لسانيات النص علما حديث المنشأ له منهجه وأهدافه وموضوعه الخاص به وهو النص، والنص هو الوحدة الكبرى في التحليل، ويهدف هذا التحليل للوصول الى القواعد والقوانين التي تحكم البناء النصي.
- ✓ جاءت اللسانيات النصية لتدعو الى ضرورة نخطي الجملة في التحليل اللغوي، واعتماد الوحدة الكبرى وهي النص، دون أن تلغي هذه الدعوة الجملة في الدراسة والتحليل لما لها من أهمية بحيث ينظر لها من خلال علاقاتها بالجملة الأخرى في النص وكذا بالنظر الى السياق الذي أنتجت فيه.
- ✓ إن من أهم مميزات النص اتسامه بالنصية والتي تجعله مفهوما ومقبولا لدى القارئ، وتحقق نصية النص بالمعايير النصية السبعة (الاتساق والانسجام والقبول والقصدية والإعلامية والسياق والتناص)
- ✓ ظهرت الممارسة النصية في تراثنا العربي عند مجموعة من العلماء من نقاد وبلاغيين وعلماء الإعجاز والأصول نذكر من بينهم (الجاحظ، الباقلاني، الجرجاني، السكاكي، القرطاجني، الشافعي... وغيرهم).
- ✓ يعد عبد القاهر الجرجاني من بين البلاغيين وعلماء الاعجاز الذين درسوا النصوص بأكملها ولم يكتفوا بأجزاء مقتطفة منها، بل وتجاوز الجملة الى النص، وبالرغم من دراسته لها إلا انه كان يضعها في علاقات مع جمل أخرى وينظر الى السياقات التي ترد فيها.
- ✓ تحدث الجاحظ عن المعايير التي من شأنها أن تجعل الشعر أو الكلام جيدا، كما ركز على قضية الالتحام كثيرا وحرص على تلاحم أجزاء البيت والكلام من أجل بلوغ غاية الفهم والافهام.
- ✓ في عدة مواضع من كتابه يؤكد على حسن اختيار اللفظ ودلالته على معناه وكذا حسن سبك النص وصناعته.
- ✓ قدم الجاحظ مجموعة من المعايير والمقاييس التي من شأنها أن تحقق غاية البيان والتواصل.

- ✓ اهتم الجاحظ بطرفي العملية التواصلية ويبدووا هذا واضح جدا في كتابه فهو يورد في عدة مواضع من الكتاب حوارات ومقابلات بين المرسل (المتكلم) والمتلقي (المستمع).
- ✓ يحظى المتلقي بوصفه طرفا مهما في العملية التواصلية أو الكلام باهتمام كبير من طرف الجاحظ، ذلك أن البلاغة كانت تعنى بقضية مطابقة الكلام لمقتضى الحال، والمتلقي يفرض على المتكلم أوقات الكلام وأوقات التوقف بقدر اقباله على خطابه.
- ✓ ذكر الجاحظ في كتابه العديد من الملاحظات والتوجيهات التي تفيد المتكلم وتعينه في انتاج نصه وإبلاغ مقاصده.

# قائمة المصادر والمراجع

1. الأخصر جمعي، ائتلاف اللفظ والمعنى في النقد العربي القديم بينات النقاد والمتكلمين والفلاسفة، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة الجزائر، 1987-1988
2. إيمان الحيارى بحث عن الجاحظ، صفحة أدباء وشعراء، ١ مارس ٢٠٢٠، ينظر أيضا كتاب البيان والتبيين للجاحظ ت حسن السندوبي
3. الباقلائي (أبو بكر محمد بن الطيب)، إعجاز القرآن، تح أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط3
4. أبو بكر بوقرين، محاضرات في مقياس نظرية النظم، سنة ثالثة ليسانس، الدرس الأول، جامعة عمار ثليجي الأغواط 2021
5. الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، ج3/2/1، دار الفكر، بيروت، دط.
6. الجرجاني، أسرار البلاغة، تح: محمود شاكر، د ط، دار المدني بجدة.
7. الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود شاكر، دار مدني بجدة، دط.
8. جميل حمداوي، محاضرات في لسانيات النص، ط1، 2015
9. حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 1986.
10. حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العلماء العرب، ط1982، منشورات الجامعة التونسية، السلسلة السادسة: الفلسفة والآداب، مجلد عدد 21
11. خليل بن ياسر البطاشي، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، دار جرير، الأردن، 2009
12. دوبراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، ط1، 1418هـ\_1998م، عالم الكتب، القاهرة.
13. دوسوسير فرديناند، محاضرات في الألسنية العامة، يوسف غازي مجيد النصر، المؤسسة الجزائرية العامة، السداسي 1986/02

14. سعد مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، لجنة التأليف والتعريب والنشر، الكويت، 2003
15. السكاكي، مفتاح العلوم ضبطه وكتب هوامشه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983، ط2، 1987
16. صبحي إبراهيم الفقهري، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ج-2-1، ط1، 2000
17. ابن طباطبا" محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي"، عيار الشعر، مراجعة نعيم زرزور، دار الكتب، لبنان
18. عائشة بن عثمان، الممارسة النصية في شروح الشعر العربي (شرح الخطيب التبريزي لديوان أبي تمام وشرح التوحيدي لديوان المتنبي أمودجا)
19. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، د ط
20. عز الدين ميهوبي، المعايير النصية ودورها في الترابط النصي ديوان اللعنة والغفران
21. فان ديك، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تر حسن البحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، مصر، ط2001،
22. فطيمة زياد، مطبوعة لسانيات النص، جامعة سطيف.
23. فوزي عبد ربه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ في كتاب البيان والتبيين، د ط، مكتبة الأنجلو مصريه، القاهرة، 2005.
24. محمد الأخضرري، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، دار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف
25. محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية (تأسيس نحو النص)، سلسلة اللسانيات، مج14، ط1، مكتبة النقد الأدبي بالاشتراك مع المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، 2000، ص1267
26. محمد العمري، البلاغة بين التخيل والتداول، افريقيا، الشرق، المغرب، د ط، 2005

27. محمد بن ادريس الشافعي، الرسالة، تح، محمد أحمد شاكر، د ط.
28. محمد عبد الرحمن أحمد محمد، لسانيات النص نشأتها ومفهومها وأسسها، العدد التاسع عشر، 1436-2015، ج3، دار الكتب المصرية.
29. محمد عفاص، ملامح نحو النص
30. محمد مفتاح، مجهول البيان، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب.
31. هبيرة عز الدين، المعايير النصية لروبيرت دي بوجراند: قراءة نظرية في ضوء اللسانيات النصية العربية الحديثة

# فهرس المحتويات

الرقم	المحتويات
شكر وعرهان	
إهداء	
أ	مقدمة
مدخل: اللسانيات النصية وتطورها	
5	تمهيد
6	نشأة لسانيات النص
9	مفهوم لسانيات النص
11	موضوع وأهداف لسانيات النص
12	المعايير النصية
الفصل الاول: الممارسة النصية في البلاغة العربية	
26	تمهيد
27	المبحث الأول: عبد القاهر الجرجاني (471هـ)
27	(1) تعريفه
27	(2) آثاره
28	(3) الممارسة النصية عند الجرجاني
34	المبحث الثاني: السكاكي (555هـ/626هـ)
34	(1) تعريفه
35	(2) آثاره
35	(3) مظاهر النصية عند السكاكي
38	المبحث الثالث: حازم القرطاجني (608هـ/684هـ)
38	(1) تعريفه
38	(2) آثاره
38	(3) الممارسة النصية عند القرطاجني

39	4) التماسك النصي عند حازم القرطاجني
	الفصل الثاني: الممارسة النصية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ
45	المبحث الاول: ترجمة مختصرة عن المؤلف والمؤلف
45	تعريفه
46	شيوخه
46	مؤلفاته
47	التعريف كتاب البيان والتبيين
49	بيانات الكتاب
49	فهرسة الكتاب
50	المبحث الثاني: تجليات ملامح النظرية النصية في كتاب البيان والتبيين
50	مفهوم النص عنده وحسن صياغته وتأليفه
52	المتلقي
53	المتكلم
55	الوضوح
56	مشكلة الألفاظ للمعاني
57	التحام القصيدة
60	التكرير
63	خاتمة
65	قائمة المراجع
	فهرس المحتويات
	ملخص الدراسة

# ملخص الدراسة

عنوان المذكرة: الممارسة النصية في البلاغة العربية (قراءة في كتاب البيان والتبيين) للجاحظ

الاسم: بلقاسم      اللقب: بدوي      المشرفة: فاطمة جخدم

الملخص بالعربية:

تناول البحث الممارسة النصية في التراث العربي، قراءة في كتاب البيان والتبيين للجاحظ.

تسعى هذه الدراسة الموسومة بـ الممارسة النصية في البلاغة العربية قراءة كتاب البيان والتبيين للجاحظ الى تسليط الضوء على الجهود النصية في البلاغة العربية من خلال علم مهم اعلام البلاغة وهو الجاحظ حيث تكتشف هذه الدراسة وعى علماء البلاغة ومنهم الجاحظ وسبقه للنظرية النصية الحديثة وقد توصلت الدراسة الى تحديد مجموعة من النتائج اهمها ان جذور النظرية النصية واضحة في البلاغة العربية وقد تجلت في شكل ممارسات فعلية للمنهج النصي حيث النظر النص على انه وحدة لغوية متكاملة.

Title of the memorandum: Textual practice in Arabic rhetoric (a reading in the book Al-Bayan wal-Tabyin) by Al-Jajiz.

Name: Belkacem Surname: Badoui Supervisor: Fatima Jakhadm

Summary in Arabic:

The research dealt with textual practice in the Arab heritage, a reading of the book Al-Bayan and Al-Tabin by Al-Jahiz.

This study, entitled “Textual Practice in Arabic Rhetoric, Reading the Book of Al-Bayan and Al-Tabin” by Al-Jahiz, seeks to shed light on textual efforts in Arabic rhetoric through an important science, the flags of rhetoric, which is Al-Jahiz. This study discovers the awareness of rhetoric scholars, including Al-Jahiz, and his predecessors to modern textual theory. The study has determined a group Among the most important results is that the roots of textual theory are clear in Arabic rhetoric and have manifested in the form of actual practices of the textual approach, where the text is viewed as an integrated linguistic unit.